

العنوان :

السياسة عند

سبينوزا

مذكرة مكسلة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إشراف الدكتور:

خوني ضيف الله

إعداد الطالبة:

نجاة مهني

السنة الجامعية: 2016/2017

# إلى أصدقائي



إلى أغلى ما أكنز في هذا الوجود والدي الكريمن أطال الله بعمرهما

علي وحدة

إلى كل من إخوتي وأخواتي احمد وزوجته والصديق وزوجته إلى المسعود وإلى أختي الكبرى السعدية ونادية  
وزوجها إسماعيل ومنيرة وزوجها فؤاد وإلى آخر العنقود هالة.

إلى كل براعم الحياة وأجمل ما فيها أطفال العائلة وملائكة الرحمان: رشا وديمة ولؤي وربيه وتيميم.

إلى جدتي أطال الله بعمرها

إلى كل من رحلوا وغابوا عنا وفي القلب لا زالوا

إلى كل من علمني حرفا وغرس في قلبي حب العلم والمعرفة.

إلى من جمعني بهم أسمى مشاعر الصداقة إليك يا صديقتي: أسيا وفاطمة وأسماء ومجلاء وخيرة ونهلة وأسماء و  
كنزه وسعاد وأميمة واسيا وسمية ودنيا وكريمة وسليمة، اهدي هذا العمل لكن عروب تقدير وشكر.

إلى كل من ساعدنا من جامعة باتنة: عزيز ومروة، إلى كل الذين ساعدوني سمير وأخيرا المعزز بالله

إلى كل من يحبني اهديه هذا العمل.

## نجاة مهني

# شكراً واحساناً

في البداية نحمد الله ونشكره الذي أعاننا ووقفنا في عمل هذا البحث  
أتوجه بالشكر الجزيل والشكر الخالص للأستاذ المشرف الذي لم يبخل علي بنصائحه

وتوجيهاته التي أنارت لي طريق عملي

الأستاذ الدكتور: ضيف الله خوني

وأيضا أتوجه بالشكر إلى جميع الأساتذة الذين رافقونا في المشوار الدراسي

كما حفظ جميل كل أولئك الذين ساعدوني في إعداد

هذا البحث المتواضع.



# مقدمة

## مقدمة

لقد شهدت أوروبا عدة مراحل مرت بها السياسة وأبرز هذه المراحل هي العصور الوسطى وعرفت هذه الفترة بطغيان رجال الدين على السياسة، بعدها انتقلت إلى عصر النهضة وفي هذه الفترة جاء ما يسمى بالإصلاح الديني، وصولاً إلى العصر الحديث وهذا الانتقال لم يكن بالأمر الهين، وهي الفترة التي دخلت فيها أوروبا مرحلة جديدة وهو القرن السابع عشر والتي اشتهرت بالنزعة العقلانية وتم فيها رفض ما هو قديم ووضع العقل بدل الدين إلى جانب ذلك بروز النزعة الإنسانية.

وفي هذه الفترة بدأت خطوات لتأسيس النقد التاريخي للكتاب المقدس على يد مجموعة من المفكرين والفلاسفة وسبينوزا كان من بينهم، ولطالما أثيرت فيه تساؤلات حول السياسة وغايتها وما الذي تحققه من إنجازات، إلى جانب ذلك عرف الحياة السياسية عدة نظم كبلت العقل وحرمت الأفراد حرياتهم وحقوقهم، مرة باسم السلطة الدينية كما يحدث في الأنظمة الثيوقراطية، ومرة باسم السلطة الزمنية وكلا هذين النظامين لم يخو منهما التاريخ الإنساني.

## طرح الإشكال :

وفق هذه التطورات التي تنقل بينها الإنسان وصل إلى حد لم يستطع أن يفرق بين ما هو ديني وما هو سياسي ، ولم يستطع فهم السياسة فهما جيداً وبالتالي أصبح هنالك خلط بين ما هو متعلق بالإيمان وما هو متعلق بالممارسات الاجتماعية.

وبالإضافة إلى ما ينبغي أن تكون عليه الدولة لأن الدين يريد أن ينشأ دولة مثالية على الأرض وهذا مالا يمكن تحقيقه، ولقد ظهرت عدة مشاكل وأمام هذا الوضع المتأزم بدأت المطالبة بإيجاد حلول ، وسبينوزا خاض غمار هذا الموضوع بإسهاب ومنه نطرح الإشكالية كالتالي: هل وفق سبينوزا في فهم السياسة المتعلقة بالجانب العملي من جهة ومن جهة أخرى الدين المتعلق بالجانب الروحي؟

## أسباب اختيار الموضوع

دواعي ذاتية: ميلنا الشخصي نحو دراسة هذا الموضوع ، وأيضا نابع من اطلاعنا المبكر حول هذه الإشكالية، وهذا ما خلق فينا دافع قوي لمحاولة كشف هذا الغموض الذي يلفه وهو السياسة عند سبينوزا .

وأیضا الميل إلى البحث في الفكر السياسي وما أنتجته هذه العقول المنظرة في هذا المجال ، إلى جانب إعجابنا بفكر سبينوزا السياسي .

دواعي الموضوعية: الفكر السبينوزي يمكن إسقاطه على أرض الواقع ، مما دفعنا إلى البحث في هذا الموضوع ، والإجابة عن الأسئلة الموجودة في ثناياه والتي تتم الإجابة عنها بالترتيب حسب الفصول :

\* كيف تشكلت السياسة عنده؟

\* ما هي النظرية التي جاء بها؟

\* هل يمكن الاستفادة من فلسفته في العصر الحديث والعالم المعاصر؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات فضلنا تقسيم عملنا إلى ثلاث فصول وقد حرصنا في بناء خطتنا على مراعاة التسلسل التاريخي والترابط الفكري لفلسفة سبينوزا وقد ارتأينا أن تكون الخطة كالتالي :

مقدمة: هي في الصدارة والتي ترتسم فيها ملامح الموضوع وتم طرح الإشكال فيها والتي كان تقديمها سالف الذكر .

الفصل الأول: والذي عنوانه المرجعية الفكرية للفكر السياسي عند سبينوزا ، والذي يندرج تحته ثلاث مباحث: حيث سنقف في المحطة الأولى ألا وهو المبحث الأول السياسة عند

اليونان ،والذي تناولنا فيه مجمل الأفكار التي أخذ بها سبينوزا من اليونان ،ثمالمبحث الثانيالذي عرضنا فيه السياسة في العصر الوسيط ومدى أثرهاعليه وفي بلورة أفكاره ،وثالثا السياسة في العصر الحديث ، وهي الفترة التي عاش فيها وهي أهم فترة بالنسبة له لمعايشته الأحداث التي جرت فيها وكان حضوره شخصيا،بالإضافة إلى تواجد فلاسفة عاصروه استقى من فكرهم.

**الفصل الثاني:**المعنون بالنظرية السياسية السبينوزية والذي يندرج تحته ثلاث مباحث :الأول كان بعنوان ،الانتقال من الحالة الطبيعية إلى الدولة المدنية ،موضحين فيه كيفية انتقال الإنسان إلى العيش في جماعة والأسباب التي دفعته إلى ذلك ،والثاني كان بعنوان الدين والسياسة والتي قمنا فيها بدراسة أثر الدين على الدولة في نظر سبينوزا والعلاقة بينهما.

**أماالمبحث الثالث:** الذي كان بعنوان الدولة الديمقراطية وهو آخر ما توصل إليه سبينوزا أثناء دراسته لهذا الموضوع وهو عبارة عن أنموذج نهائي لهذا الفكر.

**الفصل الثالث :** والذي عنونه بدراسة تقييميه لأفكار سبينوزا السياسية ،ضمناه في مبحثين :الأول بعنوان مكاسب أطروحةسبينوزا،هنا يبرز مدى أثر فلسفته على العصر الحديث و المعاصر والتي برز فيه مناصرين لهذا الفكر،أماالثاني كان بعنوان حدود أطروحة سبينوزا السياسية والتي ظهر فيها معارضينلفلسفته وأقروا بخطورته.

وانتهينا بخاتمة التي جاءت كحوصلة لبحثنا هذا وحاولنا فيها الإجابة عن الإشكالية المطروحة وعن التساؤلات التي صادفتنا في هذا البحث.

ولمعالجة الإشكالية السالفة الذكر ارتأينا اعتماد المنهج التحليلي في تحليل أفكارسبينوزا وتبيان ماتتطوي عليه من أفكار وتصورات ،ولنخلص في نهاية إلى المنهج النقدي.

## صعوبات البحث

ككل عمل لابد وأن تواجهه الباحث صعوبات فكرية تعلقت بوسائل البحث العلمي النظري والمتمثلة في قلة المصادر والمراجع التي ركزت اهتمامها بدراسة فلسفة سبينوزا الغير متوفرة بما فيه كفاية في مكتبات الجامعة، والاقتصار في ترجمة بعض المؤلفات وهو عمل يحتاج بلا شك إلى مزيد من الوقت والجهد، مما دفعنا إلى الانتقال إلى خارج الولاية .

ومع هذا أملنا في أن يكون عملنا المتواضع مساهمة جد بسيطة في إثراء الدراسات الفلسفية والحمد لله على ذلك.

## الفصل الأول :



### المرجعية الفكرية للفكر السياسي عند سبينوزا

#### المباحث :

- السياسة عند اليونان ❖
- السياسة في العصور الوسطى ❖
- السياسة في العصر الحديث ❖

من البديهي أن أي دراسة تنطلق من خلفيات ومناهج ومدارس مختلفة سابق عن أي فكر، وسبينوزا بدأ دراسته وتشكيل فلسفته انطلاقاً من هذه الأصول الفلسفية، حيث أنه كان مطلعاً عليها وكان يتتبعها عبر حقبة زمنية متتالية، إذ اعتبرها أساساً لبناء نظريته السياسية، فقد تطرق إلى دراسة الفكر اليوناني السياسي، وبعد ذلك درس فلسفة العصور الوسطى منذ بدايتها إلى أن توقفت عنده، إلى أن وصل إلى عصره وهو العصر الحديث الذي لم يخلو من الفلاسفة البارزين على الساحة الفلسفية، وأدى هذا التنقل بين العصور إلى تبلور فكره، ولكن المشكلة المطروحة هنا :

هل السياسة التي جاء بها سبينوزا مختلفة عما كان من قبل ؟

المبحث الأول: السياسة عند اليونان

" لقد كانت الحياة السياسية<sup>1</sup> اليونانية تتشكل فيما يعرف "بالمدينة"<sup>2</sup> وهي تضاهي ما يعرف اليوم بـ"الدولة"<sup>3</sup>، وكانت تلك المدينة تمثل مجتمعاً سياسياً متكاملًا، ويشتمل على كل النشاطات التي تتحدد في ضوءها الحياة السياسية في أثنائها، وقد أستمّر هذا الترادف بين " المدينة" و"الدولة" حتى انتهى عصر اليونان المجيد، وكانت المدينة اليونانية هي التي تمثل الإرادة السياسية الموحدة للمجتمع اليوناني، وذلك لما كانت تشتمل عليه من مؤسسات وهياكل<sup>4</sup>.

يعني هذا بأن المجتمع اليوناني منذ بدايته عرف السياسة فقد اهتم مؤرخوها وفلاسفتها بدراسة هذه الأخيرة، و عرفوا ما يسمى بالمدينة،ومنذ بدايتها عرفت التنظيم ويظهر ذلك في قوانينها التي كانت تسنها، وبطبيعة الحال على الشعب طاعتها، وهذا ما جعل منها مدينة مستقلة سياسياً وقد اشتهرت بوجود مدينتين، فكل مدينة كان لديها نظامها الخاص، وكانت المدينة الأثينية تختلف عن المدينة الإسبرطية في طبيعة الحياة السياسية.

<sup>1</sup>-السياسة **politique**: السياسة مصدر ساس، وهي تنظيم أمور الدولة وتديبر شؤونها وقد تكون شرعية وقد تكون مدينة، (انظر: جميل صليبا : المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د.ط، 1978، ص 679).

<sup>2</sup>-المدينة: هي وحدة سياسية لا تنقلص إلى تجمع حضري، فهي التنظيم السياسي والاجتماعي الموحد لأرض محدودة يمكن أن تظم مدينة واحدة أو عدة مدن كما تضم رفقة الريف الذي يرتبط بها، (أنظر: جان توشر: تاريخ الفلسفة السياسية من اليونان إلى العصر الوسيط، تر، ناجي الدراوشت، دار تكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2005، ص 17).

<sup>3</sup>-الدولة **L'état**: وهي جمع من الناس مستقرون في أرض معينة مستقلون وفق نظام خاص أو هي مجتمع منظم له حكومة مستقلة وشخصية تميزه عن غيره من المجتمعات المماثلة له: (أنظر: جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د.ط، 1972، ص 568).

<sup>4</sup>-إسماعيل زروخي : دراسات في الفلسفة السياسية ، دار الفجر للنشر و التوزيع، القاهرة، 2001، ط1، ص18.

في ذلك العصر ظهر العديد من الفلاسفة الذين كان لهم نظريات في السياسة وأنظمة الحكم وقوانين تنظيم الدولة، والذين كان لهم أثر كبير على فلاسفة العصر الحديث من بينهم سبينوزا والذي أخذ عنهم الكثير من الأفكار وخاصة في السياسة، لكن نخص بالذكر الفلاسفة الذين تأثر بهم كثيراً وأخذ عنهم بعض المفاهيم السياسية وأقام بها نظريته، نذكر من بين هذه مفاهيم:

### 1/المشاركة في الحكم:

لقد ظهر مصطلح المشاركة في الحكم في اليونان والذي "تميزت أثينا -دون غيرها من المدن اليونانية- باشتراك جميع أفراد طبقة المواطنين في أنشطتها المختلفة، ومن ثم فقد ترجمت الديمقراطية\* المباشرة إلى واقع عملي من خلال التنظيمات السياسية السائدة آنذاك التي تمثل في الجمعية العمومية، والمجلس النيابي، والمحاكم"<sup>1</sup>، تعتبر هذه المدينة من أبرز المدن التي عملت على هذا النظام وأتاحت للشعب إبداء رأيه فيما يخص الحكم، وأول من نادى بهذا المبدأ صولون (640-556 ق.م)، و المشاركة في الحكم كانت في تلك الفترة مقتصرة على الأرستقراطيين، و ونعني بها بأنها مجموعة من النشاطات التي يقوم بها الشعب بقصد التأثير في عملية صنع القرار الحكومي.

صولون كان حاكم إلا أنه أعطى للشعب الحق في المشاركة في تسيير شؤون الدولة، ويأتي بعده دستور كليستين (Kelusthenes) بالمشاركة في الحكم عن طريق الانتخابات ويختار الحاكم، وكذلك بركليز (pericles)، وهو أيضاً أقر بالمشاركة في الحكم.

\*-الديمقراطية **démocratie**: حكم الشعب، حالة سياسية تكون فيها السيادة للمواطنين كافة، بلاميز على أساس المولد و الثورة و القدرة، (انظر: لالاند أندريه، موسوعة لالاند الفلسفية، تر، أحمد خليل أحمد، المجلد الأول، منشورات عويدات، بيروت- باريس، ط2، 2001، ص 259).

<sup>1</sup>-فضل الله محمد إسماعيل: الأصول اليونانية للفكر السياسي الغربي الحديث، بوستات المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2001، ص 22.

"ولقد كان لهذه الأفكار أثرها في فلاسفة العصر الحديث من أمثال اسبينوزا الذي رأى أن الحكم الأمثل هو الذي يشعر فيه الناس أنهم هم الذين يسيرون أمور الدولة، لا الدولة هي التي تسيروهم، وأنهم يعيشون وفقاً لإرادتهم الخالصة، ووفق عقلهم وتفكيرهم الخاص"<sup>1</sup>، بمعنى أن سبينوزا وافق على ما أقر به صولون والفلاسفة الآخرين، ويرى بأن الحكم الأمثل يتم بإعطاء الحرية للشعب وهو الذي يسيطر على الدولة، بحيث يعيشون وفق تفكيرهم الخاص، وبالتالي هم الذين يختارون الحاكم وفق إرادتهم واختيارهم، وذلك عن طريق الانتخابات والتي تكون بالأغلبية.

## 2/ الحق الثوري:

لقد امتك مفكري اليونان من الوعي ما يكفي الذي أوصلهم إلى الفكرة مفادها، في حالت ما إذا كان هناك عدم المساواة بين الأفراد، وكان هناك ظلم فمن حقهم الثورة على تلك الأوضاع التي تسيء لهم وتهتك حقوقهم .

"...وقد وصل اليونان في تحليلهم للثورة \* إلى قدر كبير من المفهوم العصري لها، فنقطة البدء بالنسبة لفاليس تمثلت في اعتقاده أن المتاعب الاقتصادية هي التي تؤدي إلى النزاع الداخلي، وبناء عليه أقترح المساواة في ملكية الأرض"<sup>2</sup>، ولتفادي هذه النزاعات اقترح فاليس المساواة بين الأفراد في الملكيات، لأنه اعتبر أن الجانب الاقتصادي هو السبب الرئيسي في حدوث الثورة.

أما أرسطو يعتقد بأن الثورة أسبابها اقتصادية، حيث تتمتع فئة من المواطنين يمتلكون ثروة بمراكز سياسية غير جديرين بأخذها دون أن يكون هناك تطابق، هذا يؤدي إلى ترسيخ فكرة

<sup>1</sup>-المرجع نفسه، ص 23.

\* الثورة **Révolution**: الثورة تغيير جوهري في أوضاع المجتمع لا تتبع في أوضاع المجتمع لا تتبع فيه طرق دستورية، والفرق بين الثورة، وقلب نظام الحكم، أن الثورة يقوم بها الشعب، على حين أن قلب نظام الحكم يقوم به بعض رجال الدولة، (أنظر : جميل صليبا: المعجم الفلسفي، الجزء الأول، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، د.ط، 1972، ص 381).

<sup>2</sup>-فضل الله محمد إسماعيل: الأصول اليونانية للفكر السياسي الغربي الحديث، ص 36.

الحساسية بعدم وجود مساواة، "كذلك فقد رأى أرسطو أن الاستعداد النفسي الناشئ عن عدم المساواة هو دائماً ركيزة أي ثورة في أي شكل للحكم"<sup>1</sup>، و يقر أرسطو أن أسباب الثورات تختلف باختلاف شكل الحكم بحيث أشار بأن الثورة تقوم لعدم رضى الشعب، إنتهائى النفوس للثورة وذلك لاسترجاع حقهم المسلوب منهم .

" وتقوم الثورة عادة إذا ما أحست الأغلبية بظلم من الأقلية، وإذا أحست الأقلية بإهانة وإذا عوملت من الكثرة على أنهم مساوون لها . ويرى أرسطو أن لكل نظام ظروف تتطلبه، فإذا كانت الأقلية الممتازة لها تراث من التقاليد في خدمة البلاد يكون حكمها حسناً، أما إن كانت طبقة من الأغنياء الانتهازيين ليس لهم تراث من الماضي ولأمن التقاليد والمحتقرين من العامة فلا قيمة لها إذن"<sup>2</sup>.

ويقصد بذلك أن الشعب كلما أحس بالظلم الذي يمارس من قبل الأقلية كلما كان نزوعه نحو الثورة أقرب، ويرى أرسطو(384-322 ق.م) أن لكل نظام ظروف وهذه الظروف هي التي تتحكم بحدوث الثورة أو عدمها، وأيضا حسب اختلاف آراء الناس بالتساوي أو بالاختلاف.

أما سبينوزا فكان يوافق ما قال به هؤلاء الفلاسفة، " في الحديث عن الثورة رأى اسبينوزا أن علاج خطأ الدولة التي ابتعدت عن العقل إنما يتم بواسطة الثورة، والثورة حينئذ يكون لها دعامة قانونية لأنها تطيح بالحكومة التي تفشل في إبعاد الخوف وتحقيق الحرية للمواطنين وتوفير الحياة المطمئنة لهم"<sup>3</sup>، لقد أخذ سبينوزا عن أرسطو فكرة الثورة، ويرى بأنها السبيل الوحيد لإصلاح الأوضاع التي ألت إليها الدولة جراء ابتعادها عن العقل "وسواء أكان هذا الدافع عن حق أم عن حب، فإن الثورة الحقيقية في الفكر الديني والواقع

<sup>1</sup>-أميرة حلمي مطر: الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1995، ص 36.

<sup>2</sup>-المرجع نفسه، ص 36.

<sup>3</sup>-فضل الله محمد إسماعيل: الأصول اليونانية للفكر السياسي الغربي الحديث، ص 35.

السياسي قد قام بها سبينوزا، إن رسالة سبينوزا إذن ثورة على الأوضاع الثقافية والسياسية في عصره بل وفي كل عصر<sup>1</sup>.

والثورة التي قام بها سبينوزا على الدين أو على الكنيسة اليهودية كان نتيجة لاحتقار الكنيسة للعقل، وكان هناك تقييد له وأعدمت حرية التفكير.

### 3/ الحرية:

في الحديث عن الحرية اليونان أولو اهتمامهم بها إذ أن نظرياتهم في السياسة لا تكاد تخلو من هذه الكلمة.

"لقد كسب الأثينيون بالتعاقب حريتهم المدنية عندما ما منع صولون الإكراه الجسدي، وحريتهم القانونية بتشريع يحمي الشخصية الجسدية للمواطن ويعلن بروحه "حرمة الجسد" (habeascorpus) (ديموستين ضد تيموقراط 54,726, contre timocrate) وفي النهاية كسبوا حريتهم السياسية التي تعرف بالنسبة للإغريق بأنها الحق (...)"<sup>2</sup>، بمعنى أن مفهوم الحرية بدأ كذلك مع صولون (640-556 ق.م) بحيث تعتبر الحرية حق من حقوق المواطن، وبالتالي: "إن حرية الفعل والقول كانت من السمات البارزة في النظام السياسي الأثيني، وقد وضع سقراط حرية الرأي فلسفة ونظاماً وجعل منها حقاً يعلو على حق الحياة"<sup>3</sup>.

إن الحرية كانت أساس النظام السياسي وبرزت أكثر عند سقراط (469-399 ق.م) والذي أعطى أهمية لحرية الرأي وظهر ذلك في معارضته للديمقراطية وأيضاً وجه انتقادات للسفسطائيين: "لكن منهج سقراط (المضاد للسفسطائيين/الديمقراطيين) حشد حوله الجماهير

<sup>1</sup> -إسبينوزا باروخ: رسالة في اللاهوت والسياسة، تر، حسن حنفي، مراجعة فؤاد زكريا، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2005، ص 11.

<sup>2</sup> -جان توشر: تاريخ الأفكار السياسية من اليونان إلى العصر الوسيط، تر، ناجي الدراوشة، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، د.ط، 2005، ص 33.

<sup>3</sup> -فضل الله محمد إسماعيل: الأصول اليونانية للفكر السياسي الغربي الحديث، ص 36.

وأصاب شهرة واسعة كما جلب عليه سخط الشعراء والخطباء السفستائيين والسياسيين... ولكن ممثلي السلطة أنفسهم في أثينا يوم ذاك رأوا في آراء سقراط تهديداً للمؤسسة السلطوية واتخذوا منه موقفاً متشدداً أدى مصيره شارباً للسم<sup>1</sup>.

رغم الحصار السلطوي الذي كان محيط بسقراط إلا أنه كان يدافع عن حرية الرأي والتفكير، إذ وجه الأنظار نحوه وزاد أعداءه الذين وجهوا له العديد من الاتهامات لأنه كان ينادي بحرية الرأي، وطبقها في رفضه للديمقراطية وكان نتيجة ذلك الإعدام . لقد قدم الكثير من الفلاسفة اليونان عن الحرية إلا أن سبينوزا تأثر بشكل كبير بسقراط والرواقيين.

" فاسبينوزا قد ركز على الحرية الفردية باعتبارها الغاية القصوى للجميع وما يعنيه اسبينوزا هي الحرية وفق العقل وليس الحياة وفق الطبيعة ونزوعها كما ذهب إلى ذلك الفكر الرواقي. والحق أن اسبينوزا قد كرس حياته كلها لبيان أهمية الحرية في الفكر والقول معاً ورأى أن من حق كل فرد أن يفكر وأن يتأمل كما يشاء، وأن يعبر عن تفكيره وينقل أفكاره إلى الآخرين بالطريقة التي يريد"<sup>2</sup>.

ويقصد بذلك بأن سبينوزا قد وجه تفكيره إلى الحرية وبالأحرى الحرية الفردية والتي جعلها غاية يصبوا إليها، على وجه التخصيص حرية العقل، وبالتالي يخالف الرواقيين الذين أقروا بالعيش وفق الطبيعة والحرية المطلقة، ويعتبر بأن كل فرد لديه حرية التفكير والقول وبإمكانه أن يصل بأفكاره للآخرين بالطريقة التي تناسبه وبدون قيود .

<sup>1</sup> - علي فهمي خشيم: الفلسفة والسلطة ومقالات أخرى، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1999، ص 17.

<sup>2</sup> - علي عبد المعطي: الفكر السياسي الغربي، نقلاً عن : فضل الله محمد اسماعيل، الأصول اليونانية للفكر الغربي الحديث، ص 37.

"ويظهر تأثير الرواقيين في اسبينوزا في تعريفه "الميتافيزيقي" للحرية التي متفقة مع مذهبه في الجبرية أنها تعيين صورة للفاعلية بأنها إذعان واستسلام سلبي في إنتاج النظام الأزلي"<sup>1</sup>.

ويرى سبينوزا "إن حرية الإنسان من ثم هي ببساطة مسألة قبول الكون لأنها تفهم ضرورته الرياضية، ومتى تم ذلك ستحصل على سلامة العقل، ستتحرر من الانفعالات"<sup>2</sup>، لكي يتحرر الإنسان من مجمل الانفعالات التي هي مجموعة العواطف التي تتحكم في الإنسان يجب عليه استخدام العقل.

إذ يقول في كتابه "علم الأخلاق": "فنحن قد أثينا سابقاً أننا لا نملك سلطاناً مطلقاً على هذه الانفعالات، وإذا رأى الرواقيين عكس ذلك، أي أنها تخضع تماماً لأرادتنا وإنه بوسعنا التحكم فيها فإن اعتراضات التجربة، لا مبادئهم الخاصة، قد أرغمتهم على الاعتراف بأن قمع الانفعالات والتحكم فيها يقتضي بالضرورة..."<sup>3</sup>، وهذا يعني بأن سبينوزا يقر بأن هذه الانفعالات لا يمكننا أن نتحكم فيها، بالرغم أن الرواقيين يرون العكس من ذلك بأننا نستطيع التحكم فيها لأنها خاضعة للإرادة، وبحكم التجربة أصبحوا مجبرين على التحكم في هذه الانفعالات .

كما يعتقد أن العواطف تسيرنا كما تشاء، "إننا نكون عبيد انفعالاتنا ودوافعنا وأفكارنا الغامضة ندين بأصلها إلى علل لا نستطيع التحكم فيها، وفي إمكاننا أن نحرر أنفسنا من هذه العبودية عن طريق التفكير بصورة واضحة ومتميزة"<sup>4</sup>.

يقر سبينوزا هنا بأنه يمكننا التحرر من هذه الانفعالات والتي لا نعلم مصدرها لأنه مجهول وبالتالي لا يمكننا التحكم فيها إلا بالطريقة الوحيدة وهي عن طريق التفكير .

<sup>1</sup>- ليو شتراوس، جوزيف كروبسي: تاريخ الفلسفة السياسية من ثيوكلديديس حتى أسبينوزا، الجزء الأول، تر، محمود السيد أحمد، مراجعة إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، العدد 809، 2005، ص 664.

<sup>2</sup>-وليم كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، تر، محمود سيد أحمد، مراجعة إمام عبد الفتاح إمام، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2010، ص 125.

<sup>3</sup>-أسبينوزا باروخ: علم الأخلاق، تر، جلال الدين سعيد، دار الجنوبي للنشر والتوزيع، تونس، د.ط، د.ت، ص 354.

<sup>4</sup>-وليم كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص 125.

المبحث الثاني: السياسة في العصور الوسطى

لقد ظهرت في العصور الوسطى ديانتان في أوربا أولاهما الديانة اليهودية التي أخذت طابع ديني وسياسي في تلك الفترة، وبعدها جاءت الديانة المسيحية لكي تصلح وتنتشر العدل وباعتبار أن: "اليهود كانوا متعصبين لجنسهم أكثر من الرومان والشعوب وأعتقد أنهم مازالوا متعصبين وملتزمين إلى يومنا هذا، وعندما جاء المسيح عليه السلام بشر بالعدل وبالمساواة بين البشر على أساس أن الله خلقهم كلهم أبناء له وفرق بينهم أمام الله، مما جعل اليهود يقومون ضد المسيح ويعتبرون أنفسهم بأنهم شعب الله المختار"<sup>1</sup>.

وكلاهما كان لهما أثر بالغ على فلاسفة العصر الحديث والأبرز فيهم سبينوزا، وهذه المؤثرات هناك منها ما هو إيجابي وهناك ما كان سلبي، وهذا ما أثبتته "ولفسون" في قوله:

"إن اسبينوزا قد تأثر في شكل كتاباته باتجاهاته الفكرية السابقة، وهذا صحيح، بل وإنما لنذهب إلى أذن اسبينوزا قد تعمد هذا التأثير، أي أنه تعمد أن تكون تعبيراته في شكلها الظاهر مماثلة لشكل الفلاسفة التقليديين، ولكنه كان ينتهي من هذه التعبيرات المتشابهة إلى نتائج مضادة تماماً لأفكار هؤلاء الفلاسفة، وذلك أراد أن يحارب الاتجاهات السابقة بنفس سلاحها"<sup>2</sup>.

في بادئ الأمر نذكر أول ديانة وهي اليهودية باعتبارها الديانة التي كان يعتنقها سبينوزا وسياستها التي كانت سائدة ومدى أثرها عليه وبعد ذلك المسيحية والأوضاع التي كانت سائدة فيها .

<sup>1</sup> - عبد المجيد عمران: محاضرات في تاريخ الفكر السياسي، منشورات جامعة باتنة، د.ط، د.ت، ص 56.

<sup>2</sup> - فؤاد زكريا: أسبينوزا، دار الوفاء دنيا للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2008، ص13.

1/ السياسة اليهودية:

"يظهر الفلاسفة اليهود في العصور الوسطى في تواريخ متداولة، فإنهم يظهرون أساساً لأهميتهم المتعلقة بالآثار القديمة؛ أي بوصفهم روابط في سلسلة انتقال الأفكار. وهذا الإهمال يظهر أكثر في تاريخ الفكر السياسي، إذ ينظر إلى الكتاب اليهود في العصور الوسطى على أنهم لا ينتمون للموضوع بصلة"<sup>1</sup>، والسبب في ذلك أن الشعب لم يكونوا مستقلين سياسياً بدأت نظرتهم تتحول إلى السياسة ووجهوا اهتماماتهم إلى الفلسفة السياسية نتيجة التشتت الذي أصابهم، ولكن أعطوها تفسير ديني فنظروا إلى التشتت الذي أصابهم على أنه عقاب الهي ولم يعطوه بعد سياسي والأخطاء التي قام بها هي التي أدت إلى تدمير دولتهم ولكن سيستعيدونها بتوبتهم.

"تطورت الفلسفة السياسية اليهودية في العصور الوسطى في سياق وحي إلهي اتخذ صورة القانون بدلا من العقيدة أو الأيمان، وهذا القانون، كما يستطيع أي قارئ الأسفار الخمسة أن يلاحظ، ويهدف إلى تعيين، وتنظيم السلوك والمعتقدات جماعات بأكملها بالتفصيل الدقيق، والاعتبار الحاسم ليس فقط أن المسائل السياسية لها دور مهم وكبير في كل من التوراة والتلمود؛ كما كان ذا مغزى أكثر من حيث إنه دافع للبحث السياسي"<sup>2</sup>.

لقد أرجعوا السياسية إلى الكتاب المقدس وبذلك لفتوا انتباه الناس اتجاه السياسة، والبحث فيها ومدى أهميتها حيث أن القانون جاء بصيغة إلهية، والغاية من ذلك هي التنظيم وأيضا لم شمل اليهود ومعتقداتهم.

<sup>1</sup>-ليو شتراوس، جوزيف كرويسى: تاريخ الفلسفة السياسية من ثيوكلديديس حتى إسبينوزا، ص 335.

<sup>2</sup>-المرجع نفسه، ص 336.

برز في ذلك العصر العديد من المفكرين اليهود الذين قدموا آرائهم في السياسة، من بين هؤلاء الفلاسفة هو موسى بن ميمون.

### موسى بن ميمون\* (1135-1204)

يرى "ابن ميمون أن الظروف نفسها التي تستحضر القانون تقتضي أن يهتم بالأفعال والآراء، بيد أن هناك كثرة من القوانين، أعني منها ما هو الهي وما هو بشري وتتطلب هذه الواقعة وحدها- دع عنك طابع الطرد المتبادل بينها- أن يكون في استطاعتنا أن نميز النوع الأول من القانون عن النوع الثاني"<sup>1</sup>. لقد تكلم بن ميمون عن نوعين من القانون الإلهية والبشرية، فالقانون عند ابن ميمون ينظم المدينة ويتحكم في أفعال البشر ويوجهه وبالتالي يحل السلام فيها وسمي هذا القانون الإلهي "الناموس" **namos**.

بينما القانون الوضعي يرى "ابن ميمون" بأنه يشبه القانون الأول لأنه يحاول أن يجعل الناس يعيشون في حياة اجتماعية يعمها السلام بين الأفراد جسماً ونفسياً حيث يقر "إن الرفاه السياسي هو الشرط الذي لا يمكن الاستغناء عنه للكمال الإنساني الأقصى"<sup>2</sup>، ويقصد بهذا الرفاه السياسي لا يتحقق إلا بإتباع القانون الذي ينظم شؤون الشعب ويحقق العدل بين الأفراد .

وفي الحديث عن النبي الذي هو في نظره يؤدي رسالة سياسية ورسالة دينية في نفس الوقت، "وينظر بن ميمون إلى النبي خلافاً لتوما الإكويني، الذي يرد في مناقشته للنبوة أي ذكر للتشريع، على أنه يؤدي وظيفة سياسية حاسمة فالإيمان بالقانون الإلهي يفترض، بصورة غير مشروطة، الإيمان بالنبوة؛" لأنه إن لم يكن هناك نبي، لا يمكن أن

\*موسى بن ميمون (1135-1204): هو أبو عمران موسى بن ميمون بن عبد الله القرطبي المشهور بالرميم و اشتهر عند العرب الرئيس موسى ولد بقرطبة بالأندلس في القرن الثامن عشر ميلادي، درس في جامعة القرويين، عمل نقيباً للطائفة اليهودية و طبيبياً للسلطان صلاح الدين الأيوبي (أنظر : موسى بن ميمون، [https://ar.wikipedia.org/wiki/موسى\\_بن\\_ميمون](https://ar.wikipedia.org/wiki/موسى_بن_ميمون), 2017).

<sup>1</sup>-ليو شتراوس، جوزيف كروبيسي: تاريخ الفلسفة السياسية من ثيوكلديديس حتى أسبينوزا، ص 339.

<sup>2</sup>-المرجع نفسه، ص 340.

يكون هناك قانون إلهي<sup>1</sup>، وفي مناقشته لمسألة النبوة يرى بأن النبي يؤدي وظيفة السياسية وهو الذي ينقل القانون الإلهي إلى الشعب، وفي حالة عدم وجود نبي ينعدم وجود هذا القانون لأنه هو الناقل الوحيد لهذه الرسالة.

وباعتبار أن النبي هو حامل للقانون حسب رأي بن ميمون كما ذكرنا من قبل، فهو يتم فكرته، ويقر أيضا بأن: "النبي أو حامل "الناموس" هو من بين أولئك الذين يذكرهم "ابن ميمون" في المنزلة الأولى، ومن حيث أنهم يمتلكون هذه الملكة، فهؤلاء الأشخاص ينقلون القانون، أما تأييد القانون المعلن فهو يدخل في نطاق مسؤولية الملك، ولذلك فإن النبي لا يظهر بوصفه رسولا إلهيا فحسب وإنما بوصفه مشرعا، ومؤسسا لمجتمع سياسي"<sup>2</sup>.

باعتبار أن النبي هو الوحيد الذي يأتي بالقانون الإلهي وهو سياسي في نفس الوقت، إذا مهمة الملك الذي يحكم البلاد تعميم تلك القوانين لا غير: " ويفترض "بن ميمون" بقوة بعدد من الطرق أن الملك ليس هو في واقع الأمر الرجل الأول في الدولة. فهو يقرر بوضوح أن الملك يخضع للقانون، ويخضع بالتالي لمحاكم القانون ويوجه الانتباه إلى امتثال الملك لكلمة الله المنطوقة"<sup>3</sup>، وما نفهمه من ذلك على الملك طاعة الله فيما أمره وذلك بتطبيق القوانين التي صدرت منه.

وما نخلص إليه في أن أفكار بن ميمون السياسية تستند إلى قانوني الإلهية والبشرية إلى أنه يفضل القانون الإلهي وأن النبي المشرع هو ناقل رسالة سياسية، وما على الملك إلا الامتثال لهذا القانون وتعميمه على الشعب.

<sup>1</sup>-المرجع نفسه، ص 344.

<sup>2</sup>-ليو شتراوس، جوزيف كروبيسي: تاريخ الفلسفة السياسية من ثيوكلديديس حتى أسبينوزا، ص 348.

<sup>3</sup>-المرجع نفسه، ص 351.

إن الأوضاع التي كانت سائدة في العصور الوسطى كان لها أثر كبير على سبينوزا ويظهر ذلك من خلال: "دراسة متن الدين حتى أنتقل إلى شروحه ثم كتب ابن ميمون، أن عزرا، وحسداي ابن شبروت، ثم تناول بالدراسة ابن جبريل الصوفي، وفلسفة موسى القرطبي وغيرهم من فلاسفة اليهود بالأندلس"<sup>1</sup>، فقد أخذ عن هؤلاء الفلاسفة و بأفكارهم بشكل مباشر أثناء تناوله لدراساتهم والاطلاع على كتبهم التي أثارت فيه شكوك جعلته يعتقد بأن رجال الدين من أشد أعداء الدين لأن تعاليمهم كلها توحى بالشك، وكان هناك تأثير غير مباشر بالفلاسفة المسلمين مثل بن رشد الذي تأثر به عن طريق ابن ميمون.

من خلال كتاباته بدأ يوجه النقد لهؤلاء الكتاب ولليهود وبدأت معالم التمرد تظهر عند سبينوزا، وخاصة على الأوضاع السياسية التي كانت متدية في تلك الفترة وما قابلها، رغم التأثير البالغ إلا أنه كانت لديه رؤية مختلفة على ما كان سائد والتسلط الذي كانت تمارسه الكنيسة اليهودية على الشعب.

نشأ وترعرع في أحضان اليهودية،"وقد تلقى اسبينوزا تعليمه في المدرسة التلمودية المحلية بأستردام، إذ لحقه بها أهله لكي تتوثق ارتباطاته بالطائفة اليهودية بتعلم لغتها العبرية وتراثها...ومما لاشك أن هذا العمل لم يحقق إلا نتيجة عكسية إذ أن الطابع اللاهوتي المحافظ لتعليمه في هذه المدرسة قد دفعه إلى ثورة"<sup>2</sup>، وأثناء تلقيه لهذه الدروس التي لقنته إياها المدارس اليهودية زاد وعيه الفكري والذي أدى به إلى طرح العديد من التساؤلات وخاصة فيما يتعلق بالدين التي لم يتقبلها اليهود واتهموه بالكفر، وأيضا انقلب على السلطة اليهودية ذات الطابع المحافظ وثار ضدها.

لقد مارست الكنيسة اليهودية شتى أنواع الظلم وسببت الأسى للمفكرين والذين يحاولون البحث في الدين، هذا ما جعل منه ناقدا كبيرا للكتاب المقدس الذي جلب عليه سخط ولعنات

<sup>1</sup> -ويل ديورانت: قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي حياة وأراء أعظم رجال الفلسفة في العالم، تر، فتح الله المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، ط6، 1988، ص 128.

<sup>2</sup> -فؤاد زكريا: أسبينوزا، ص 22.

اليهود وحرموه من حقوقه،"وعلى أية حال فمن الواضح أن تقاليد الطائفة اليهودية في أمستردام كانت من التزمت والجمود إلى حد آثار غضبه كل من اتسم بنزعة التحررية من أبنائها، لاسيما وأن الجو الخارجي في الدولة الهولندية كان يشجع إلى حد ما على الانطلاق وحرية الفكر. وهكذا تكررت القصة مع إسبينوزا نفسه، وإن لم تكن اتخذت نفس هذه الصورة العنيفة الدامية في نهايتها"<sup>1</sup>، ويعني هذا أن اليهودية لم تترك المجال للفلاسفة والمفكرين على استخدام العقل في تلك الفترة وهذا ما أثار غضبهم وأرادوا التحرر من القيود التي فرضتها سلطة الكنيسة عليهم، أدى ذلك إلى الانقلاب عليها .

وهذا ما ظهر في كتبه كما ذكر إميل برييه بأن: "رسالة اللاهوتية السياسية تشير إلى طرق الخلاص المرصودة لمن لا يسمو من الناس إلى أعلى من طاعة أحكام الأديان الوضعية، وتصف رسالته السياسية أخيراً تنظيماً للدولة يدع لكل فرد حرية التفكير"<sup>2</sup>، إن جل كتابات سبينوزا تدعو إلى التحرر من هذه السلطة إلى حرية التفكير ولكن تظهر بشكل كبير في رسالته في السياسة واللاهوت.

ومن ضحايا الاستبداد الذي مارسه الكنيسة اليهودية على معارضيها والذين رفضوا سطوتها:"ومن الثابت أيضا أن كوستا كان قد تعرض للطرده مرتين من المجمع اليهودي وأن اليهود عاملوه معاملة سيئة فغالبا ما ألقوا على بيته القاذورات والجيف وبصقوا في وجهه، ويبدو أن تلك كانت طريقة اليهود في التعامل مع المفكرين الذين يقفون ضد التعصب الدين، فكيف الحال إذا وكوستا كان قد حاول يفسر الكتاب المقدس تفسيراً تاريخياً"<sup>3</sup>، وهاهو مفكر آخر كان ضحية هذا التفكير السلبي، وقد دفع حياته ثمنا نتيجة عناده ومحاولة فهمه لهذا الدين و أيضا أهانوه وقاموا بتعذيبه ومقاطعته وفي النهاية تم قتله.

<sup>1</sup> -المرجع نفسه، ص 23.

<sup>2</sup> - إميل برييه: تاريخ الفلسفة في القرن 17، ج4، تر، جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1983، ص 192.

<sup>3</sup> - منذر شباني: إسبينوزا واللاهوت، د.ط، منشورات وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب، 2009، ص 14.

كان سبينوزا مطلعاً على ما حدث لهذا المفكر والمعاملة الوحشية التي تلقاها من قبل الكنيسة اليهود و التي كانت تمارسها على المفكرين.

" فقد أدت هذه المؤثرات جميعاً إلى خروجه من نطاق العزلة القاطعة التي كانت الطائفة اليهودية في أمستردام تفرضها على أفرادها، إلى ثورة اسبينوزا على تلك الطائفة وخروجه عليها، واتخذت هذه الثورة أولاً شكل مناقشات متحررة جريئة بدأت منذ أيام الدراسة ذاتها، ثم تحولت إلى عدم الاكتراث بالطقوس والشعائر اللانهائية، العدد التي يتبعها المجتمع اليهودي"<sup>1</sup>.

ورجال الدين انتقلوا من الجانب الروحي الذي كان يمثله الدين إلى الدنيوي فأصبحت تتحكم في السياسة والاقتصاد وغيرها من المجالات الدنيوية، وتعطيها صبغة دينية فتشرع وتحكم باسم الدين وبالتالي "لقد وجدت الكنيسة أن لديها ما يسمح لها بالتصرف كمرجعية وحيدة دينيا ودنيا ولا ندري أساساً أن نفرق في العصور الوسطى بين ما هو ديني وما هو دنيوي"<sup>2</sup>.

إن الكنيسة أصبحت تتحكم في كل شيء بحيث أنها تجبر الرعية الرجوع إليها في جميع الأمور إذ لا توجد سلطة أعلى منها، وتريد فرض وجودها على الحاكم الذي يجب عليه أن يكون تابعاً لها، وهي التي تسن القوانين وتجبر الشعب على إتباع ما تقر به إذ لإمكان لما يسمى بحرية التفكير أو معارضة وكل من يفعل عكس ذلك فهو خارج عن الدين وتصيب عليه لعناتها، إما أن تنفيه وإما أن تقتله.

وهذا ما أثار حفيظة سبينوزا، بدأت مظاهر التمرد ضد العقيدة اليهودية المتمتمة تتجلى عند اسبينوزا... فقد اتهمته الكنيسة اليهودية في أمستردام بالإلحاد وأصدرت في

<sup>1</sup>-فؤاد زكريا: أسبينوزا، ص 23.

<sup>2</sup>-منذر شياني: سبينوزا واللاهوت، ص 21.

28 يوليو 1656 قرار بطرده من حظيرة الكنيسة<sup>1</sup>، يقر سبينوزا بحرية المعتقد ولا يمكن لأي سلطة سياسية كانت أو دينية أن تجبر أي فرد على هذا، ويرى ويطالب باستقلالية الدولة عن الدين: " وفي هذا السبيل ينتقد اسبينوزا الدعوى القائلة بأن الكتاب المقدس من وحي الله، ويتحدى صحة ودقة أسفار العهد القديم من الكتاب المقدس وصحة نسبها إلى من تنسب إليه، ويرفض دعوى اليهود أنهم شعب الله المختار<sup>2</sup>، وجه العديد من الانتقادات إلى الكتاب المقدس ورفض ما ينادي به اليهود بأنهم أفضل الشعوب و أيضا طرد من اليهودية.

## 2/ السياسة المسيحية:

" كان لظهور المسيحية الأثر البالغ في تغيير حياة الناس وبلورة كثير من المفاهيم السياسية، ولاسيما المتعلقة بالدولة، ونحن نقصد هنا بالفكر السياسي المسيحي هو ذلك الفكر الذي بدأ بظهور المسيحية وأمتد إلى غاية عصر النهضة ومن مبادئ المسيحية السياسية هي تأكيد خضوع الدولة للقانون الذي يجب أن يسمو فوقها، وهو القانون الإلهي، وهذا لم يكن في اعتقاد المسيحية على مستوى الدولة فحسب بل على مستوى الكون كله<sup>3</sup>.

لقد جاءت المسيحية بعد اليهودية والتي كانت تعطي الأولوية للقانون الإلهي إذ ترى بأن الدولة يجب أن تخضع لهذا للقانون، ولا توجد سلطة أعلى منه لذا وجب عليها أن تستمد قوانينها من التشريعات الإلهية وتنفيذها، " فالديانة المسيحية عند مجيئها أثرت على الاتجاهات المسيحية للإمبراطورية الرومانية، لأن الكنيسة دعمت وأبدت الدولة، فوجدت

<sup>1</sup> - عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية، ج1، الموسوعة العربية للدراسة والنشر، ط1، 1984، ص 137.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 144.

<sup>3</sup> - إسماعيل زروخي: دراسات في الفلسفة السياسية، ص 160.

نفسها أمام سلطتين: وهي السلطة الدنيوية ويرئسها الإمبراطور وأخرى دينية ويرأسها البابا وعلى هذا الأساس تبنى الرومان العبارة القائلة: أعط ما للقيصر لقيصر وما لله لله<sup>1</sup>.

وعندما امتلكت الكنيسة المسيحية قوة أرادت أن تسيطر على الدولة وتنتج عن ذلك ظهور صراعات بين رجال الدين الذين يمثلون الكنيسة ورجال الدولة مما أدى إلى اضطرابات وعدم استقرار سياسي وأصبح "هناك ما يسمى بالحروب الأهلية.

"ونتيجة لتلك الثنائية والازدواجية في تاريخ المسيحية أدت إلى إهدار كثير من الدماء للأبرياء أو في بعض الأحيان إصلاحات، ولكن تلك المظاهر تؤدي في كثير من الأحيان إلى هجوم عنيف من المواطنين"<sup>2</sup>.

لقد ظهر فيها العديد من الفلاسفة لكن نذكر أهمهم هو "القديس أوغسطين" و"توما الاكويني":

### 1/ القديس أوغسطين\* (354-430 م) (Sant Augustine) :

قام القديس أوغسطين ببناء "نظريته السياسية تتمثل في أنه لا يمكن تحقيق العدالة الاجتماعية والسياسية مادامت الدولة غير مسيحية ويجب على النظام أن يخضع للأوامر الكنيسة، وعلى هذا الأساس نجد أن الكنيسة سيطرت فيما بعد على النظام الاجتماعي والسياسي في القرون الوسطى بأوروبا"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - عبد المجيد عمران: محاضرات في تاريخ الفكر السياسي، ص 57.

<sup>2</sup> - إسماعيل زروخي: دراسات في الفلسفة السياسية، ص ص 161-162.

\* القديس أوغسطين **Sant Augustine** : لاهوتي وفيلسوف مسيحي أحد كبار الكنيسة الكاثوليكية، ولد في تاغاشت Tagste، وتعرف اليوم بسوق هراس في شرق الجزائر، 13 نوفمبر سنة 354 م توفي في هييون تسمى اليوم بيونة وهي تقع غرب تونس في 14 أغسطس سنة 430 م، وكان أبوه وثنياً، بينما كانت أمه مونكا مسيحية. (أنظر : عبد الرحمان بدوي، الموسوعة الفلسفية، ج1، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، ط1، 1984، ص 247).

<sup>3</sup> - عبد المجيد عمران: محاضرات في تاريخ الفكر السياسي، ص 59.

إذ أنه ينادي بأهمية الدولة والحياة الاجتماعية هي مقدسة حيث أنه يعرف الدولة بأنها عبارة عن هيئة تقوم بعقاب الأفراد المخطئون أو الأشرار، ونشأت نتيجة لإرادة الإلهية والحاكم هو مفوض من عند الله، ومهمتها تقوم بإجبار الشعب على اعتناق المسيحية، ويقر أيضا بضرورة الدولة وأنها ليست شيء عرضي ونتجت لحاجة الإنسان: "وهذه الدولة التي يصورها: هي تستمد سلطتها من الله مباشرة... ومعنى ذلك أن الدولة لا تكون علمانية خاصة، بل ستكون دينية كذلك لكنها لن تكون دينية خالصة"<sup>1</sup>.

إن الدولة لها علاقة وطيدة مع الكنيسة أو الدين المسيحي وبالتالي كل واحد منهما يخدم الثاني، فالكنيسة توجهها إلى الوصول إلى الحياة الآخرة والثانية تساعد على تحقيق أغراض الكنيسة في الحياة الدينية أو الزمنية، إذ أن أوغسطين لم يحدد أنظمة الحكم في الدولة لأنه لا يهيمه أي نظام يسيطر وإنما الهدف من النظام تحقيق مدينة الله عن طريق الإنجيل، وأيضا على الشعب طاعة الحاكم حتى وإن كان غير عادل لأنه ناجم عن خطيئة .

### 2\_2/ توما الإكويني Thomas.Daquin\* (1225م-1274م)

فلسفته السياسية تتمثل في أن الله هو المبدأ الأول والوحيد الذي خلق هذا الكون والمخلوقات الموجودة فيه، وانتهى بعد ذلك بالمجتمع البشري: "إن حجر الأساس لفلسفة الإكويني السياسية هي الفكرة الأرسطية عن الطبيعة فالإنسان هو موجود سياسي واجتماعي من كل الكائنات الأخرى"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>- عبد الرحمن بدوي : فلسفة العصور الوسطى، وكالة المطبوعات الجامعية، الكويت، دار القلم، بيروت، لبنان، ط3، 1979، ص 38.

\*توما الإكويني Thomas Daquin(1225-1274) : أكبر فلاسفة العصور الوسطى المسيحية ولد توما 1225م بقصر روكاسكا بالقرب من أكوين ومن هنا جاءت تسميته الإكوين، وأبوه من أسرة نبيلة تتحدر من أصلاّب لنيريديّة، درس الفنون الحرة والمنطق والفلسفة واللاهوت.(أنظر إلى: عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفية، ج1، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، ط1، 1984، ص 427).

<sup>2</sup>- ليو شتراوس، جوزيف كروبيسي، تاريخ الفلسفة السياسية من ثيوكلديديس حتى أسبينوزا، ص 370

إذ يرى بأن المجتمع المسيحي هو الذي تحكمه سلطتان الأولى الكنيسة والثانية المدينة، بحيث أنه لا تتحكم أي سلطة في الأخرى، الأولى تقوم بتوجيه الناس إلى غايتهم التي تفوق الطبيعة أما الدنيوية فتوجههم نحو غاية دنيوية، "إن الخير العام وغاية السلطة السياسية هو في المحل الأول السلام أو انسجام الأجزاء المختلفة التي ترتبط لكي تكون المدينة، يوجد السلام عندما يكون كل جزء ملائماً للكل، ويقوم بوظيفته بسهولة وانسجام داخله"<sup>1</sup>. بمعنى السياسة تصبو إلى تحقيق السلم والأمن بين الأفراد وتحقيق مجتمع منظم .

ويعرف توما الإكويني الدولة على أنها اجتماع سياسي طبيعي لها قانون، وباعتبار الإنسان لا يستطيع أن يعيش لوحده وجب أن تكون هناك قوانين تنظم المجتمع ولكي يعم الأمن والسلام داخل الدولة .

يرى توما "إذا ما كانت السلطة الروحية والسلطة الزمنية تصدران كلاهما عن السلطة الإلهية"، فإن هذه السلطة لا تخضع لتلك إلا : "بالقدر الذي أخضعها الله فيه إليها، على ما كتب القديس توما، أي فيما يتعلق بخلص النفس، ولهذا السبب في هذه المواضيع يجب بالأحرى أن تطاع السلطة الروحية بدلاً من السلطة الزمنية"<sup>2</sup>، وما نفهمه أن توما وازن بين سلطتين ورأى أنهما يتداخلان في بعضهما البعض، إلا أنه كل واحدة تختلف عن الأخرى بطريقة عملها أي لكل واحدة أهدافها ووظائفها التي تقوم بها، أما القانون فهو جزء من نظام الحكم الإلهي لأنه ينظم العلاقة بين المخلوقات نفسه إلى أربعة أقسام :

1/ القانون الأزلي: وهو القانون الذي يحكم به الله .

2/ القانون الطبيعي: ويتمثل في القانون الذي يحكم به العقل والنفس الطبيعية التي

تتأثر بالإيمان .

<sup>1</sup>-المرجع نفسه، ص 373.

<sup>2</sup>-جان توشار: تاريخ الأفكار السياسية من اليونان إلى العصر الوسيط،تر، ناجي الدراوشة، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 2010، ص 278.

3/ القانون الإنساني: وهو الذي يتمثل في القانون الوضعي، وهو مشتق من القانون الطبيعي.

4/ القانون الإلهي أو المقدس: ويتمثل هذا الأخير في الشرائع والأحكام التي جاءت عن طريق الوحي أو التبشير، وهو أساس القوانين الثلاث<sup>1</sup>.

لقد تأثر سبينوزا بالفكر السياسي المسيحي "دفعه حب الاطلاع إلى معرفة ما كتبه مفكرو العالم المسيحي"<sup>2</sup>، وأخذ الكثير من الأفكار عن القديس أوغسطين وخاصة منها السياسية وأثناء تعلمه اللاتينية تأثر بالقديس توما الإكويني وتقريبا هناك أفكار سياسية تتشابه مع أفكاره، إلى جانب ذلك: "يرى رويس أن أفكار اسبينوزا الدينية تشبه الأفكار التي وردت في كتاب "محاكاة المسيح"<sup>3</sup>، فقد تعمد أن تكون كتاباته مشابهة ومماثلة لكتاباتهم لكي يوصل لهم رأيه." كان اسبينوزا شخصية ثار حولها الكثير من الجدل وقامت حولها الشبهات، عرف بآرائه المتطرفة في تحررها في ميدان الديني والسياسي<sup>4</sup>. رغم انه طرد من طرف اليهود واعتنق بعدها المسيحية دفعه فضوله إلى التعمق داخل هذه الديانة، لكنه بقي محافظا على آرائه التحررية.

هيمنت المسيحية مثل اليهودية على جميع المجالات منها السياسية والاجتماعية، وقيدت العقل ما دفع سبينوزا إلى الثورة عليها أيضا والمطالبة بحرية التفكير وأقر بأن حرية التفكير لا تضر بسلامة الدولة ولا تؤدي إلى الفسق والفجور كما ادعى اللاهوتيين، وعلى الكنيسة أن تخضع لسلطة الدولة، ورفض العقائد الأساسية لمذهب الكاثوليكية كتأكيد تجسد الله في المسيح وغيرها من المعتقدات، ونقد: "العقيدة المسيحية في الفداء، لا يمكن العقل

<sup>1</sup> عبد المجيد عمراني : محاضرات في تاريخ الفكر السياسي، ص 65.

<sup>2</sup> ويل ديورانت: قصة الفلسفة من أفلاطون الى جون ديوي وأراء أعظم رجال الفلسفة في العالم، ص 189.

<sup>3</sup> جزيا رويس: روح الفلسفة، ط1، تر، أحمد الأنصاري، المجلس الأعلى للثقافة، العدد 467، 2003، ص 11.

<sup>4</sup> فؤاد زكريا: أسبينوزا، ص 30.

أن يقبلها لأن اليسوع كان إنسان كسائر الناس وكل ما هناك أن عقله كان يساير نظام الكون وكانت إرادته موجهة نحو الخير الأزلي"<sup>1</sup>.

هاجم اللاهوتيين وطريقة تفسيرهم للدين: "يرفض اسبينوزا سلطة الكنيسة في تفسير ما تدعيه من حق في تفسير الكتاب المقدس كما رفض لوثر من قبل"<sup>2</sup>، ونتيجة لأرائه النقدية اتهمته الكنيسة بالإلحاد وكان الإلحاد في القانون الأوربي بمثابة جريمة يعاقب عليها القانون.

" فقد اتصل بالعديد من الطوائف من بينها المينونية Mennoimtes هذه الطائفة كانت ذات رسالات فكرية وعلمية وسياسية إلى جانب رسالتها الدينية، بل إننا نستطيع القول إن الوجه الديني في نشاطها كان أقل الأوجه أهمية... وهذا كان إسبينوزا بانضمامه إلى تلك الجمعيات يمارس الوقت ذاته نشاطاً سياسياً وثقافياً ذا طابع ثوري، ويشارك في حركة النقد الضخمة التي زعزعت بعض أسس المجتمع الغربي في جميع الميادين"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية، ص 144.

<sup>2</sup> - إسبينوزا باروخ: رسالة في اللاهوت والسياسة، ص 36.

<sup>3</sup> - فؤاد زكريا: اسبينوزا، ص 27.

المبحث الثالث: السياسة في العصر الحديث

ظهر الفكر السياسي الحديث وتبلور في جميع النواحي القانونية والسياسية والاجتماعية، وبالتالي جاء ما يعرف بالثورة المنهجية التي حدثت في العلوم الطبيعية، واشتد تطلع الفلاسفة والمفكرين للاهتمام بقوانين الطبيعة والإنسانية، وسعوا إلى تطبيق الفلسفة المادية على الدولة والسياسة، إلا أن هذه القوانين نابعة من العقل الإنساني، وبهذا له مجموعة من الحقوق من بينها الحرية، إن هؤلاء الفلاسفة أثروا في سبينوزا وبنى نظريته السياسية انطلاقاً من أفكارهم نذكر أبرزهم وأولهم ديكارت الفيلسوف العقلاني وتأثر أيضاً بشكل كبير بفلاسفة العقد الاجتماعي .

1/ ديكارت\* :

أخذ سبينوزا عن ديكارت المنهج وطبقه في مجالات جديدة كان ديكارت يتحاشاها: "سبينوزا هو الديكارتي الوحيد الذي استطاع أن يطبق المنهج الديكارتي تطبيقاً جذرياً في المجالات التي استبعدتها ديكارت من منهجه"<sup>1</sup>.

وهذه المجالات هي الدينية والاجتماعية والسياسية، ديكارت كان لا يتدخل في الأمور الدين ما جعله ذلك صديقاً لرجال الدين، أما سبينوزا كان عكسه تماماً: "فهو الذي طبق منهج الأفكار الواضحة والتميزة في ميدان الدين والعقائد"<sup>2</sup>، وهذا ما أثار سخط الكنيسة عليه كما ذكرنا من قبل .

\* - ديكارت René Descartes (31 مارس 1596 - 11 فبراير 1650): فيلسوف فرنسي كبير و يعد رائد الفلسفة في العصر الحديث و في الوقت نفسه كان رياضياً ممتازاً إبتكر الهندسة التحليلية، تحصل على عدد من الشهادات من بينها "القانون و الطب"، (أنظر: عبد الرحمن البدوي: الموسوعة الفلسفية، المؤسسة العربية للدراسة و النشر، بيروت، ط1، 1984، ص 468).

<sup>1</sup>-سبينوزا باروخ: رسالة في اللاهوت والسياسة، ص 9.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، ص 10.

ويعتبر أيضاً، "هو الوحيد من الديكارتيين الذي طبق منهج ديكارت في السياسة، فدرس أنظمة الحكم، وقارن بينهما، ونقد الأنظمة التسلطية القائمة على حكم الفرد المطلق، وانتهى إلى أن النظام الديمقراطي هو أكثر الأنظمة اتفاقاً مع العقل ومع الطبيعة. فنحن نعلم أن ديكارت قد أستثنى أيضاً النظم السياسية والتشريعات الوطنية، وعادات البلد، أي أنه أخرج الجانب الاجتماعي كله من الشك وقصره على الفكر"<sup>1</sup>.

لقد بدأ ديكارت منهجه بالشك، إلا أن سبينوزا كان أكثر منه جرأة في تطبيق ما جاء به ديكارت على الجانب السياسي والديني .

"وانطلاقاً من هذا التصور اعتقد إسبينوزا أن النموذج العقلي الرياضي ليس حكراً على العلوم العقلية دون غيرها، بل إن هذا النموذج العقلاني صالح لدراسة السلوك البشري بما فيها الأخلاق والسياسة، ومن هنا بدأت ملامح العقلانية تظهر في العلوم الإنسانية والاجتماعية وفي مقدمتها علم السياسة"<sup>2</sup>، بدأت العقلانية تظهر وتطبق في السياسة مع سبينوزا، وذلك عن طريق توجيه سلوك الإنسان، ولقيام دولة ناجحة وجب عليها أن تعدل بين مواطنيها ولا يكون ذلك إلا بواسطة العقل، وهنا يكون سبينوزا قد طبق العقلانية الديكارتية على نظريته السياسية.

"إن فلسفة سبينوزا على هذا النحو أرادت أن تنتهج الاستدلال الرياضي والوضوح الديكارتية في البحث عن العلاقة الضرورية التي تحكم سلوك البشر وبعبارة أوضح فإن سبينوزا أراد للعقلانية الديكارتية أن تكون المنهج الملائم لفهم حقيقة الظواهر الإنسانية والاجتماعية، فالسلوك البشري عبارة عن حقل رياضي يجمع

<sup>1</sup>- إسبينوزا باروخ: رسالة في اللاهوت والسياسة، ص 11.

<sup>2</sup>- الدراجي زروخي: المذاهب الفلسفية الكبرى من سؤال المعرفة إلى سؤال القيم، دار صبحي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2015، ص 146.

بين اجتهاد العقول وتفكير الأفراد، وهكذا انتقلت العقلانية من طابعها النظري إلى طابعها التشريعي والواقعي<sup>1</sup>.

ويقصد بذلك انه طبق المنهج الديكارتي في دراسة السلوك الإنساني، حيث أخذها من المجال النظري وطبقها على الواقع .

## 2/ فلاسفة العقد الاجتماعي :

سبينوزا مثل فلاسفة العقد الاجتماعي من أمثال :

- توماس هوبز Thomas Hobbes (1588-1679)
- جون لوك Locke Jonn (1632-1704)
- جون جاك روسو Rousseau Jaques Jean (1712-1778)

قام بتفسير عملية انتقال الأفراد من الحالة البدائية أو الطبيعية إلى الحالة الاجتماعية المنظمة، بموجب العقد حيث استخدم فكرة العقد الاجتماعي كأساس لنشأة الدولة، وبنا نظريته السياسية عليه وأقر بأنه أصل تشكل الدولة.

" ويطبق إسبينوزا نظريته في العقد الاجتماعي على تاريخ العبرانية، فبعد خروج العبرانية من مصر لم يخضعوا لدولة أجنبية، بل أقاموا شريعة خاصة واحتلوا ما شاءوا من الأرض. وللخروج من هذه الحالة الطبيعية فوضوا حقهم الطبيعي إلى الله نفسه ووعده بتنفيذ أوامره التي قررها في الوحي. وكان هذا الوحي بمثابة عقد اجتماعي ينشأ بين أفراد الجماعة الواحدة من أجل اختيار سلطة تمثل الجميع<sup>2</sup>."

<sup>1</sup>-المرجع نفسه، ص 147.

<sup>2</sup>- أسبينوزا باروخ: رسالة في اللاهوت والسياسة، ص 90.

يمكننا القول بأنه تأثر بهم فهو يتفق معهم في أن الدولة تنشأ بموجب العقد الذي يصنعه الأفراد فيما بينهم من أجل بلوغ مجتمع يسوده الأمن والسلام، ومن الفلاسفة الذين تركوا فيه أثر بالغ هو "توماس هوبز"

### توماس هوبز Thomas Hobbes\* (1679-1588)

يقول راسل بأن: "نظرية إسبينوزا في السياسة مستمدة أساساً من "هوبز" رغم الاختلاف الضخم في المزاج بين الرجلين، فهو يأخذ بأنه في حالة الطبيعة ليست ثمة صواب وخطأ، لأن الخطأ يتمثل في عدم إطاعة القانون، وهو يسلم بأن الملك لا يمكن أن يخطئ"<sup>1</sup>، يعني هذا بأن هوبز يقر بخطأ هو عدم إطاعة الحاكم، وهذا الحاكم لا يخطئ وهنا يختلف عن سبينوزا الذي يرى العكس.

يمكننا القول أن هناك نقاط اختلاف بينهما ونقاط اتفاق: "غير أنه يعود إلى موقف هوبز من الدين فيذهب إلى أن السلطة هي الحاكمة في الدين وهي حاميته وأن حقها في ذلك مطلق، وإلا نفرق الرأي بتفرق العقول والأهواء، واختلاف النظام العام، ولا يكتسب الدين قوة القانون إلا بإرادة السلطة"<sup>2</sup>، والمقصود من ذلك بأن السلطة هي التي تتحكم في الدين وليس العكس وتوفر له الحماية، والدين لا يمكن أن يكون له قوة إلا بالقانون بمعنى أنه يبقى تحت سلطة الدولة وهي التي تشرع له وتوجهه، وأيضاً هو "قد تصور مبادئ القانون الطبيعي على أساس مادي خالص يرفض التسليم بمشروعية سلطان الدين على ضمير الفرد وعقله"<sup>3</sup>.

\*-توماس هوبز Thomas Hobbes (1659-1588): فيلسوف إنجليزي و مفكر سياسي كبير، ولد بوسبورث

Westport، دخل كلية مجدولين في أوكسفورد، وحصل على شهادة التخرج منها و هو رياضي وفزيائي، ودرس الفلسفة (أنظر: عبد الرحمن البدوي، الموسوعة الفلسفية، المؤسسة العربية للدراسة و النشر، ط1، 1984، ص554).

<sup>1</sup>-راسل برتراند: تاريخ الفلسفة الغربية الكتاب الثالث الفلسفة الحديثة، تر، محمد فتحي الشنيطي، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، د.ط، 1977، ص 122.

<sup>2</sup>-يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، مصر، ط5، 1890، ص 114.

<sup>3</sup>-ناصر عبد الله: دراسة في الفلسفة الأخلاق والسياسة والقانون، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 1999، ص95.

أما عن العقد الاجتماعي هو نتاج ما كان يعيشه الإنسان في الحالة الطبيعية من استبداد وسيطرة القوي على الضعيف، وللخروج من هذه الحالة الطبيعية إلى حالة الحروب المستمرة والشاملة الناجمة عن حبنا للحرية، أو عن غريزتنا للسيطرة عن الآخرين<sup>1</sup>، لكبح الحروب في هذه الحالة، وتحقيق السلم للأفراد وضع الإنسان لنفسه هذا العقد.

وكذلك يرى " هوبز أنه بناء على المواصفات المرحلة الطبيعية كان لزاماً على البشر الطبيعيين التعاقد فيما بينهما بعقد أو ميثاق، يتنازلون بموجبه على إرادتهم لطرف ثالث لا يكون كطرف في العقد، ولا يتنازل عن إرادته، يمكن حمايتهم وضمان بقائهم، وهذا الطرف يمكن أن يكون فرداً أو جماعة<sup>2</sup>، أي للانتقال من المرحلة الطبيعية والتي تشبه قانون الغاب والتي كان الإنسان يعاني منها، إذ كانت فيها الحرية المطلقة وجب على البشر التعاقد فيما بينهم يتنازل فيه هؤلاء على إرادتهم وحررياتهم لطرف ثالث لكي يوفر لهم الحماية.

حسب قول "هوبز" بأنها المرحلة التي كانت تسودها الحروب ويظهر ذلك في كتابه الليفيثان، إن السبب النهائي وأهداف البشر الذين يتوقون إلى الحرية وممارسة السلطة على غيرهم قاموا بفرض قيد على أنفسهم والذي يتمثل في جعلهم يعيشون في إطار الدولة للمحافظة على أنفسهم وللخروج من حالة الحرب البائسة والتي كانت نتيجة ضرورية للأهواء الطبيعية<sup>3</sup>.

نستطيع القول بأن يتشابهان في أفكار لكن كل منهما لديه منطلقات بدأ منها مختلفة عن الآخر، "غير أن الأساس الذي كانت ترتكز عليه نظرية إسبينوزا مختلفة كل الاختلاف على الرغم من وجود قدر لا بأس به من الاتفاق بينهما على كثير من السمات التي أعتقد أنها ضرورية لقيام المجتمع صالح. فعلى حين أن هوبز يقيم آرائه على أساس تجريبي فإن إسبينوزا يستنبط نتائجه من نظريته الميتافيزيقية العامة<sup>4</sup>، يختلف سبينوزا عن هوبز إذ

<sup>1</sup> -إسماعيل زروخي: دراسات الفلسفة السياسية، ص 194

<sup>2</sup> -المرجع نفسه، ص196.

<sup>3</sup> -هوبز توماس: الليفيثان الأصول الطبيعية و السياسة لسلطة الدولة، تر، ديانا حرب، بشرى سعد، مراجعة رضوان

السيد، هيئة أبوضبي للثقافة و التراث(الكلمة)، ط1، 2011، ص 175-176.

<sup>4</sup> -رسل برتراند: حكمة الغرب، ج2، سلسلة عالم المعرفة، تر، فؤاد زكريا، الكويت، د.ط، 1983، ص 61.

أن أفكاره التي أتى بها مستمدة أساساً من نظريته الميتافيزيقية، أما هوبز فكل أساسياته تجريبية.

في حين أنهما يختلفان في فكرة الثورة ويعتقد هوبز: "من هذا المنطلق أن كل ثورة أو انتفاضة ضد السلطة السياسية القائمة أو الحاكمة هي دوماً على باطل، مهما كانت قيمة العقل الذي استندت إليه"<sup>1</sup>، يعتقد هوبز بأن مهما كان الاضطهاد الذي يتلقاه الشعب من طرف الحاكم فالثورة غير مسموح بها، "حتى على الحكومة السيئة، ويستشهد بالاضطرابات في إنجلترا كدليل على الضرر الذي نجم عن المقاومة العنيفة للسلطة"<sup>2</sup>.

أما في أنظمة الحكم كل له توجهه الخاص، "كذلك يختلف إسبينوزا عن هوبز في أنه لم ينظر إلى الديمقراطية على أكثر التنظيمات المجتمع عقلانية، فأكثر الحكومات تعقلاً تصدر مراسيم سليمة في الأمور الواقعة في نطاق سلطتها"<sup>3</sup>، أما هوبز فهو يدعو إلى الحكم الاستبدادي على غرار سبينوزا الذي يرى بأن هذا الحكم يؤثر على الشعب بالسلب حيث يصبحون عبيدا لهذا الحاكم الطاغوي، لأن زمن العبودية تم التخلص منه في الحالة الطبيعية.

تأثر ببعض الأفكار و أصبح "يعتقد، مثل هوبز، أن لكل إنسان في الحالة الطبيعية الحق في كل شيء يقع على نطاق منه، وأن هذه الحالة هي حالة خوف عام ولكي يتخلص الناس منها، يجب أن يكونوا دولة بإرادتهم...بيد أنه يختلف عن هوبز في القرار بقوة أقل على أنه لا يمكن إلغاء العقد الاجتماعي عندما يكون دون سبب ذلك ارتداد إلى الحالة الطبيعية"<sup>4</sup>، لأن في هذه المرحلة يمتلك الإنسان الحق في أن يفعل ما يشاء، وللتخلص من هذه الحالة يكون التغيير من أنفسهم.

<sup>1</sup>-إسماعيل زروخي: دراسات في الفلسفة السياسية، ص 197.

<sup>2</sup>-رسل برتراند: تاريخ الفلسفة الغربية، ص 122.

<sup>3</sup>-رسل برتراند: حكمة الغرب، ص 62.

<sup>4</sup>-وليم كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص 128.

" أما تفسير هوبز للحالة الطبيعية أنه في الطور الطبيعي، كل واحد عنده الحق في القيام وبامتلاك كل ما يرغب فيه ومن هنا يأتي القول بأن الطبيعة أعطت كل شيء إلى كل الناس ومنه ينتج بأن المنفعة هي قاعدة الحق في الطور الطبيعي"<sup>1</sup>، أفكار سبينوزا متقاربة بشكل كبير مع هوبز رغم الاختلاف في المزاج بينهما واختلاف وجهة نظرهم، وسبينوزا تأثر به كثيرا.

---

<sup>1</sup>-مختار عريب الفلسفة السياسية من المفهوم الكلاسيكي إلى البيواتيقا، كنوز الحكمة للحكمة والنشر والتوزيع، د.ط، 2009، ص 121.

من خلال ما سبق نستنتج بأن سبينوزا تأثر باتجاهات فكرية سابقة ساعدت في تشكيل وفي تأسيس فكره السياسي ابتداء من اليونان حيث أخذ من "صولون" و"سقراط" و"أرسطو" و"الرواقية"، أما في العصر الوسيط ابتداء بالديانة اليهودية، والذي تأثر بفلاسفتها "كابن ميمون"، أما المسيحية فقد أخذ عن فلاسفتها من أمثال "أوغسطين" و"توما الإكويني"، وأيضا الظروف السياسية السائدة في تلك الفترة جد متوترة نتيجة الصراعات القائمة بين رجال الدين وبين الحاكم، وبعد ذلك تأثر بفلاسفة عصره من بينهم "ديكارت" الذي أخذ منه المنهج وطبقه في المجالات السياسية والاجتماعية وحتى الدينية، أما العقد الاجتماعي والذي كان فلاسفته "هوبز" و"روسو" و"لوك" إلا تأثر بشكل كبير بـ"توماس هوبز" فكان يتوافق معه في معظم أفكاره السياسية وتعارض معه في البعض الآخر، وكل ما أخذه سبينوزا عن هؤلاء شكله في طابع خاص، إلا أنه اختلف عنهم لأنه كان يمتلك نظرة خاصة، وتفكيره كان مغايرا تماما لتفكيرهم.



## النظرية السياسية السبينوزية

❖ الانتقال من الحالة

الطبيعية إلى الدولة المدنية

❖ الدين والسياسة

❖ الدولة الديمقراطية

لقد تميز فكر سبينوزا السياسي عن غيره من الفلاسفة التي سبقته وأيضاً في العصر الحديث ،حيث كان يعتبر بأن الإنسان ابتكر لنفسه أنظمة وهي ليست طبيعية، وذلك من أجل تحقيق أهداف وغايات يريد الوصول إليها، والسياسة عنده تشتمل على مظاهر والتي مرة بعدة مراحل لكي ينتج نظام ناجح، ولمعرفة الطريقة التي توصل بها إلى هذه النتائج، إذا المشكلة التي تطرح نفسها هي كالاتي:

ما هي نظرية سبينوزا السياسية؟

## المبحث الأول : الانتقال من الحالة الطبيعية إلى الدولة المدنية:

سبينوزا يرى بأن الإنسان كان يعيش في حالة شتات وفوضى قبل أن ينشأ لنفسه مجتمعا، وكانت في تلك المرحلة الأخلاق تكاد تكون منعدمة لأنه كان لا يفرق بين الخير والشر أو بين الصواب والخطأ، كلما يهمله مصلحته الشخصية حتى وإن كانت على حساب غيره وسمى هذه المرحلة بالحالة الطبيعية والتي انتقل بعدها إلى المرحلة المدنية .

## I- الحالة الطبيعية:

تتبع سبينوزا تاريخ البشرية منذ بدايتها ،و"يذهب "سبينوزا" إلى أن الناس كانوا قبل نشأة المجتمع يعيشون في فوضى لا ينظمهم قانون ولا يسودهم نظام"<sup>1</sup>، أي أن هذه الحياة يسودها عدم الاستقرار والأمن ويكون فيها البقاء للأقوى الذي يسيطر على الضعيف، وفي هذه الحالة لا يفرق فيها البشر بين ما هو صائب وما خاطئ،"ومن ثمة تبدو لنا الطبيعة عنده خالية من القيم البشرية، بمعنى أن الخير والشر عنده لا وجود لها في الطبيعة"<sup>2</sup>. فهي خالية من الفضيلة والعدل وكل ما يوحي بالمساواة والاستقرار.

الشيء الذي يهم الفرد في تلك المرحلة تحقيق رغبته، لا وجود للأخلاق التي تحد الشخص عن ذلك الشيء الخاطئ لأن رغبته أقوى وكل ما تريده شهوته يفعلها لأنها تسيطر عليه كلية فكما يقول هي كتابة "رسالة في اللاهوت والسياسية": "فالإنسان في الموقف الطبيعي لا يعيش إلا طبقا لقانون الشهوة، فليس هناك خطأ أو صواب"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - زكي نجيب محمود : قصة الفلسفة الحديثة ،السلسلة الفلسفية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د.ط، 1936، ص 17.

<sup>2</sup> -فايزة أنور شكرى: القيم الأخلاقية ، دار المعارف الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، د.ط، 2007، ص 125.

<sup>3</sup> - أسبينوزا باروخ: رسالة في اللاهوت والسياسة، ص 99.

ويقصد بذلك بأن الإنسان في هذه المرحلة تسيطر عليه عواطفه التي حجبت عنه ما يعرف بالخطأ و الصواب فهو يتبع شهواته ورغباته و فقط، وكانت القوة عندهم هي الحق، فمن استطاع أن يظفر بشيء فهو حق له، فهو لا يعرف ما هو عادل وما هو ظالم، في هذه الحالة يسيطر عليهم الخوف، "لقد صار التفكك يتهدد الحالة الطبيعية بفعل اللأمن؛ وقيادة الرغبة البيولوجية للذات الفردية فهي حالة عدم التحرر - بل عقال العقل - فلم يكن بوسع الفرد معرفة الفضيلة ولم يدرك مع غيره العقل فلم يكن هناك تنظيم"<sup>1</sup>.

في غياب العقل وسيطرت الرغبات على الأفراد والتي أدت بعدم معرفة الإنسان الفضائل والقيم وبالتالي لا وجود بما يسمى بالتنظيم، فكما يقول سبينوزا: "أن العقل في هذه الحالة الطبيعية لا يكون له حق أكثر مما للشهوة"<sup>2</sup>، بمعنى أن الشهوات نالت النصيب الأكبر في تفكير الإنسان وفي وجودها لا مكان للعقل، فهي تدفع بالإنسان إلى القيام بأي شيء لإرضائها.

لهذا يقول: "لهم الحق في كل ما يدخل في نطاق قدراتهم، لهذا السبب لم تتصور خطيئة في الحالة الطبيعية"<sup>3</sup>، و يقصد بذلك أن كل قوي له الحق أن يفعل ما يشاء وبالتالي غاب ما يسمى بالخطيئة في هذه الحالة لا يعي ما هي الخطيئة وكل ما يقع تحت سيطرته هو ملك له، القوة هي التي تحدد من عليه البقاء والعيش، والضعيف محكوم عليه أن يعيش في عبودية وفي خوف دائم من الخطر الذي يتهدده من طرف الذي هو أقوى منه، وبالتالي يعيش في قلق دائم.

<sup>1</sup> - المصدر نفسه، ص 99.

<sup>2</sup> - مصطفى عبد القادر: الديمقراطية عند سبينوزا، طبيعتها، نظامها ومشكلتها، مجلة الحكمة للدراسة الفلسفية، العدد الثامن، 2006.

<sup>3</sup> - اسبينوزا باروخ، رسالة في اللاهوت والسياسة، ص 423.

ويرى "إذا كانت عنده قوة تحدد في غياب أي عاطفة عنيفة، ستكون عاجزة ضد رغبة الانتقام والشهوانية"<sup>1</sup>، وما نفهمه من ذلك أن العاطفة تتحكم في الإنسان وهي أيضا تكون غير قادرة أن تتحكم في الإنسان في حال وجود رغبة الانتقام والشهوانية أي أن هذين الحالتين لا يمكن التحكم فيهما عاطفيا، "وليس بينها "أخلاق" مرسومة تحدد تصرفاتها، لأن الأخلاق لا تكون إلا حيث توجد سلطة معترف بها"<sup>2</sup>، في الحالة الطبيعية الأخلاق غائبة ومبرر غيابها هو غياب السلطة التي يخضع الجميع لها، ومن المؤكد في غياب القانون الذي ينظم العلاقات بين البشر تعم الفوضى التي لا حدود لها ولا قوانين تضبطها، و التي تضع شروطا للأخلاق، بمعنى أن الأخلاق تسير مع السلطة جنبا إلى جنب في نظر سبينوزا.

فإذا خالف المواطن هذه السلطة هي التي تعاقبه، ولكن في الحالة الطبيعية لا وجود لهذه الضوابط الكل يفعل ما يشاء، لأنه امتلك الحرية وهذه الحرية هي مطلقة لا حدود لها، فهي شبيهة بالحيوان "كذلك بالنسبة لأنواع الحيوانات فهي متنافسة ومتنازعة لا تعرف معنى للتعاون والإيثار، وكل نوع يحاول أن ينتفع على حساب الأنواع الأخرى، وذلك لأنه ليس بينها أخلاق مقررة أو نظام للتعاون معترف به تقوم على صياغته هيئة مطاعة"<sup>3</sup>.

إن الإنسان في هذه الحالة كالحيوان لا يعرف الفضائل ولا الإيثار مثل التعاون كل يحاول أن يبحث عن مصلحته وينفع نفسه على حساب الآخر، وذلك لأنه محكوم بالغريزة ولا توجد سلطة خارجية تعمل على ضبط هذه الانفعالات أو أي نظام يسيروها.

<sup>1</sup> - Philippe Borrell : Benoit Spinoza, Hocaemilio Chartier Debetvr Opvscvlvm, texte numérisé par S,schoefferte, edition H daiz, 1911, p 18.

<sup>2</sup> - زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، ص 171.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 171.

## II-نشأة الدولة المدنية:

و في هذه المرحلة والتي انتقل فيها الإنسان من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية، وهي المرحلة التي عرف فيها الإنسان التنظيم السياسي، وذلك بموجب العقد واستخدم هذا العقد كأساس لنشأة الدولة، وبنى نظريته السياسية عليه.

كما ذكرنا سابقا بأنه طبق هذه النظرية على الدولة العبرانية، بمعنى أن العبرانيين عقدوا عقدا الذين يعترفون فيه بتنفيذ الأوامر التي وضعها في الوحي وتنفيذها بحذافيرها، ويعتبر هذا الوعي بمثابة عقد وهم اختاروا سلطة الله لأنهم يخضعون له.

و يقول سبينوزا في كتابه "رسالة في اللاهوت والسياسة": "وقد قام العبرانيين بهذا العقد بمحض اختيارهم، وبذلك أصبح الله زعيمهم السياسي"<sup>1</sup>، و ما يقر به هنا سبينوزا أن العبرانيين اختاروا سلطة لهم يفوضون لها أمرهم وهو الله، فوجب عليهم الطاعة وتنفيذ كل أوامره التي جاءت في الوحي.

إن الانتقال إلى حالة المجتمع الذي سمته سيادة العقل، "بل صار التوجه لحالة "الاجتماع المدني" لا مناص منه؛ ومنه أيضا لزم تحكيم قانون مدني مبني على الاتفاق بين مجموعة الأفراد والسلطة بواسطة "تعاقد"<sup>2</sup>، و لكي يتخلص الإنسان من حالة الطبيعية غير المنظمة، صنع ووضع لنفسه مجتمع يساعده ويؤمن له ضرورات الحياة التي يحتاجها، لذا لجأ إلى إبرام هذا عقد.

و يقدم لنا "سبينوزا" تعريفا للعقد والذي يظهر في قوله: "كان لا بد للفرد أن يتخلى عن حقه الطبيعي وذلك بتفويض إياه إلى الجماعة، أو إلى بعض الناس، أو إلى فرد

<sup>1</sup> - أسبينوزا باروخ: رسالة في اللاهوت والسياسة، ص 90.

<sup>2</sup> - مصطفى عبد القادر : الديمقراطية عند اسبينوزا (طبيعتها، نظامها، ومشكلاتها)، الحكمة للدراسات الفلسفية.

واحد<sup>1</sup>، ينتج عن التعاقد بين الأفراد الذين يفوضون أمره إلى الجماعة بحيث يتنازل عن حقه لصالحها، وهي بدورها تقوم بحمايته وعليه أن يتنازل عن جزء من قوته لصالحها لكي يسود. و يرى بأن "السلطة الخارجية تقوم بإجبار مباراة الأنانية، وبذلك يتم تجنب الفوضى بالتأكيد"<sup>2</sup>، إن السلطة الخارجية تتحكم في الإنسان الذي تغلب عليه طابع الأنانية التي تسبب الفوضى، والتي تقوم بإجبارها بالقوانين التي تضعها، بمعنى أن لا يمس حق غيره من الناس أو تحقيق مصلحته على حساب مصلحة غيره من الأشخاص، فمهمتها هي التنظيم وعلى الأفراد أن يسيروا وفقه طوعا أو كرها.

ويقر أيضا بأنه "عندما يشرع الناس جميعا في تكوين مجتمعات من أجل حماية الوجود الفردي عن طريق سلطة جماعية"<sup>3</sup>، ومهمة هذه الجماعة حماية الأفراد عن طريق السلطة العقل بعدما كان الإنسان تسيطر عليه انفعالاته وشهوته، و لكي يستمر العقد يجب على الدولة أن تعتمد على العقل، في هذه الحالة يتحرر الأفراد من العاطفة التي تسبب الخوف بين الأفراد لتلبية رغباتها، والعقل هو العامل الرئيسي الذي يجعل المواطنين يعيشون في أمن وسلام واستقرار دائم.

و ينادي "سبينوزا" بضرورة العقد "و نحن نعلم أن هذا المنطق، أو بالأحرى ظهور المنطق الضمني بأن علينا أن نتمسك بالعقد"<sup>4</sup>، بمعنى أنه على الأفراد التمسك بالعقد لأن هذا العقد هو الضامن لاستمرار الدولة وللحفاظ على سلامة الأفراد، وإذا كانت المدينة عقلانية، يصبح العقد حرا لأنه يمتلك قوة العقل.

<sup>1</sup> - أسبينوزا باروخ : رسالة في اللاهوت والسياسة، ص 423.

<sup>2</sup> - Philippe Borrell : Benoit Sinoza, p 19.

<sup>3</sup> - ليو شتراوس ، جوزيف كروبسي: تاريخ الفلسفة السياسية من ثيوكلديديس حتى اسبنوزا، ص 674.

<sup>4</sup> - Philippe Borrell : Benoit Spinoza, p 18.

و كما يرى"على أنه لا تجب الطاعة إلا للقانون النافع، إذ كان أساس الاتحاد المنفعة العامة للشعب أن يقدر الأوامر والنواهي، وأن ينقد السلطة، بل أن يثور عليها"<sup>1</sup>.

و ما يريد إيصاله هو على الشعب طاعة القانون الذي يصدر من الدولة، بشرط أن تكون هذه القوانين نافعة لهم وله حق الثورة عليها إذا استبدت.

ويعتقد بأنه" مثل هذا الانتقال من الحالة الطبيعية إلى الحالة الاجتماعية، انتقالا للمطالب الطبيعية نفسها إلى المطالب السياسية وهو أمر تفرضه طبيعة الانتقال وضرورته"<sup>2</sup>، بعد ما كان للإنسان لديه مطالب طبيعية مرتكزة على الشهوة وعلى حاجاته البيولوجية انتقل إلى المدينة والتي فيها مطالب سياسية على السلطة تحقيقها كحمايتهم وتمنحهم حرية التفكير.

و لتجسيد هذه المطالب السياسية وجب على الناس الخضوع والانقياد والطاعة إن"مبدأ الدولة هو الرغبة في الحفاظ على الذات، وعن طريق هذه الرغبة يجب أن يقاد الناس إلى الطاعة"<sup>3</sup>، إن مهمة الدولة الحفاظ على ذوات الأفراد وهو عبارة عن مبدأ لها، وهي التي تقود الناس إلى طاعتها لكي تحافظ على الأمن الداخلي وما على الأفراد إلا الخضوع لها .

الإنسان يبحث عن امتيازات التي لم يحصل عليها من قبل،"غير أن التشديد على الانفعال في الحالة الفرد والدولة معا يطابق زعم اسبينوزا في التشريع وفقا للعقل، وإيمانه أن الناس لا يكونون أحرارا إلا عندما يطيعون عن طريق العقل"<sup>4</sup>. وما يقصد من ذلك بأن كما كان تشديد الفرد من قبل على العواطف والانفعالات، فالدولة أيضا تشدد على العقل وال

<sup>1</sup> - ريتشارد شاخت : رواد الفلسفة الحديثة، تر، أحمد حمد محمود، مهرجان القراءة للجميع ، د.ط، د.ت، ص 118.

<sup>2</sup> - منذر الشيباني: سبينوزا واللاهوت، ص 76.

<sup>3</sup> - ليوشتراوس : جوزيف كروبسي، تاريخ الفلسفة السياسية من ثيوكلديديس حتى اسبينوزا، ص 674.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 675.

القوانين والتشريعات لا تكون إلا بالفعل، والناس يكونون أحرارا بالعقل لأنه يتيح لهم حرية الرأي والتفكير بعدما كان الناس مقيدين بانفعالاتهم.

ويعتقد أن أحسن دولة هي التي تعمل بالعقل، "وبالتالي فإنه يفترض بحق أن الدولة الأكثر قوة واستقلالا تتكون وفقا لمبادئ العقل الصحيح التي تكشف عن الغاية التي تكون في مصلحة كل الأشخاص"<sup>1</sup>.

بمعنى بأن الدولة مصدر قوتها هو العقل والذي يساعدها أن تحقق مصلحة كل الأشخاص دون ظلم أو تفرقة، وتحقق العدل بين الأفراد وهذا ما يساعدها على إلى بلوغ الغاية التي تريد الوصول إليها.

### III - القانون وأنواعه:

يرى سبينوزا بأن الإنسان يسير وفق قوانين ومتمى نشأ المجتمع فان القانون هو الذي يحكم بين الأفراد وبين المجتمعات هي التي تعمل على تنظيم هذا المجتمع والتي وجب على الإنسان السير وفقها "ولا بد في كل مجتمع بشري من قانون ينظم العلاقات بين الناس إذ لو كان العقل وحده - كما يقول اسبينوزا - هو الذي يسيطر على أفعال الناس لما احتاجوا إلى القانون"<sup>2</sup>.

إن القانون له أهمية كبيرة، والعقل وحده هو عاجز عن تنظيم الناس، وبانعدام القانون يصبح المجتمع في فوضى عارمة هو الذي يعدل وينظم العلاقات بين البشر على حسب تعبير "سبينوزا"، ولأنه يتواجد هناك من تسيطر عليهم أفعالهم والقانون هو الذي يقوم بردعها لذا يعتبر القانون من أساسيات التي تقوم عليها الدولة.

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 675.

<sup>2</sup> - فؤاد زكريا: اسبينوزا، ص 222.

وقبل التطرق إلى أنواع القوانين نقوم بتعريف القانون عند "سبينوزا".

### 1/تعريف القانون:

يعرف "سبينوزا" القانون وذلك في كتابه "رسالة في اللاهوت والسياسة" بقوله: **يطلق** لفظ القانون مأخوذاً بمعناه المطلق، على كل حالة يخضع فيها الأفراد منظورا إليهم كل على حدة؛ سواء أكان الأمر متعلقا بمجموعة الموجودات أو ببعض الموجودات المنتمية إلى نفس النوع- لقاعدة سلوك واحدة ومحددة-<sup>1</sup>.

ويقصد بذلك أن القانون يمتاز بأنه مطلق لا حدود له والأفراد جميعا تحت سلطة القانون، ولكن يحاسب كل فرد لوحده بمعنى في حالت تجاوز الفرد القانون يعاقب وحده لأنه صاحب الفعل، وهو عام على جميع الموجودات أو بعضها ولكن كل نوع على حدا.

إذ يقول بأن: "اسم القانون، وقع نحو المطلق، يعني الذي يرفض بطريقة التمثيل الثابتة وتحديد إلى أي فرد أو جميع الأفراد من نفس النوع"<sup>2</sup>، أي أن القانون المطلق موجه إلى جميع الأفراد من نفس نوع الواحد فهم يخضعون له، والقانون موجه إلى جميع الموجودات على اختلاف أنواعها .

ولو خصصنا معنى القانون بدقه، "أما القانون بمعنى الخاص فهو الأمر الذي ينفذه الإنسان، والذي يحدد من قدرته أو الذي يأمره بما يستطيع"<sup>3</sup>.

الإنسان ملزم على إطاعة القانون، فهو الذي يضع حدودا لقدراته أي أنه لا يستطيع فرض قوته أو السيطرة بها على غيره لأن القانون يرده ويحاسبه على كل أفعاله، فهو الذي يعدل بين الأفراد وعليهم طاعته إلا إذا أمره بشيء يفوق قدرته، "وبالتالي فإن القانون هو الذي

<sup>1</sup> - اسبينوزا باروخ : رسالة في اللاهوت والسياسة، ص 184.

<sup>2</sup> - Spinoza : traite théologico- politique, E Saisset, 1842, p 40.

<sup>3</sup> - اسبينوزا باروخ: رسالة في اللاهوت والسياسة، ص 47.

يضع قواعد السلوك المطلوبة من الرجال في تقرير المصير"<sup>1</sup>، إن القانون يكون في أيدي الأفراد الذين يقومون بتقرير مصير البقية وهم الذين ينشرون قواعده بين الأفراد.

ويقول أيضا في كتابه "رسالة في اللاهوت والسياسة": "و هذا القانون الذي يجعلنا سعداء حقا ويعملنا معنى الحياة الحقيقية"<sup>2</sup>، ويقصد بذلك بأن القانون يقضي على الخوف الدائم ويحقق السلام والأمن داخل المجتمع أو الدولة، وهنا يحقق السعادة للأفراد لأنهم يعيشون في هدوء.

## 2/أنواع القوانين:

قسم "سبينوزا" القانون إلى ثلاث أنواع وهي القانون الإلهي، القانون الطبيعي، القانون البشري، نذكرها كآتي :

### أ/القانون الإلهي:

و يعني "سبينوزا" بالقانون الإلهي والذي يعرفه في كتابه "رسالة في اللاهوت والسياسة" بقوله: "أما القانون الإلهي فأعني به قاعدة لا تهدف إلا للخير الأقصى، أي إلى المعرفة الحقة وإلى حب الله"<sup>3</sup>.

ومنه سلم "سبينوزا" بأنه إذا أراد الإنسان بلوغ آخر مراحل الخير، ومن كان يحب الله فعليه بطاعة القانون الصادر منه لأن هذا القانون جاء لنشر الخير بين البشرية .

إذا يرى "سبينوزا" "القانون الإلهي هو حضور الله في أنفسنا ولما كان الله هو السعادة القصوى والغاية الأخيرة للأفعال الإنسانية فإن من يجب الله يكون مطيعا حقا للقانون الإلهي"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> – Spinoza, traite théologico- politique, p 42.

<sup>2</sup> –Ibid, p50.

<sup>3</sup> – اسبينوزا باروخ: رسالة في اللاهوت والسياسة، ص 185.

<sup>4</sup> – المصدر نفسه، ص 59.

كلما أحب الإنسان الله وصل إلى مرحلة متقدمة من الخير لكي يبلغ الغاية التي يريد الوصول إليها وهي السعادة، وللوصول إليها يجب عليه أن يحدد سلوكياته وتصرفاته وأفعاله، ولإثبات حب الله يجب على الإنسان أن يكون مطيعاً لهذا القانون ويسير وفقه دون مخالفته، وإذا فعل ذلك فهو قد امتلك السعادة.

### ب/القانون الطبيعي:

القانون الطبيعي يعني به سبينوزا<sup>1</sup> ويقصد بالقانون الطبيعي المجري الذي حدده الطبيعة كي يسير فيها الإنسان<sup>1</sup>. أي أن الطبيعة وضعت مجموعة من القواعد للإنسان وهو مجبر على تطبيقها، وهذا القانون أعطى الحرية المطلقة للأفراد أن يعقلوا ما يشاءون، وعندما يريدون، ولكن هذا القانون ليس موجه للإنسان فقط فهو موجه لجميع الموجودات. وباعتبار أن الإنسان جزءاً من الطبيعة، فإن قوانينها تطبق عليه كما تطبق على سائر الموجودات ولكن له مساره الخاص .

### ج/القانون الإنساني:

يقصد سبينوزا بالقانون الإنساني والذي تطرق إليه في نفس الكتاب الذي تطرق فيه للقانون الإلهي ويظهر ذلك في قوله: "و أعني بالقانون الإنساني قاعدة للحياة مهمتها الوحيدة هي المحافظة على سلامة الحياة والدولة"<sup>2</sup>. والقانون الإنساني هو قانون وضعي، الإنسان هو الذي صنعه لنفسه حين تحول إلى العيش في جماعة، وذلك من أجل المحافظة على سلامته خاصة، وسلامة الدولة عامة وهذا هو الهدف المرجو منه.

<sup>1</sup> - عبد الرحمن بدوي : الموسوعة الفلسفية، ص 143.

<sup>2</sup> - أسبينوزا باروخ : رسالة في اللاهوت و السياسية، ص 185.

## IV- الحق عند سبينوزا:

ينقسم الحق عند سبينوزا إلى قسمين حسب الحالة التي يتواجد فيها الإنسان، الحق الطبيعي والذي كان سائد في الحالة الطبيعية، وثانيا الحق في الدولة المدنية.

## 1/ الحق الطبيعي:

لقد تطرق سبينوزا إلى معنى الحق الطبيعي وأيضا في كتابه "رسالة في السياسة واللاهوت" بقوله: "أعني بالحق الطبيعي وبالتنظيم الطبيعي مجرد القواعد التي تتميز بها طبيعة كل فرد، وهي القواعد التي تدرك بها كل موجود يتحدد وجوده وسلوكه حتميا على نحو معين".<sup>1</sup>

الإنسان حقه أن يعيش وفقا للنظام الذي وضعته له الطبيعة لأن الإنسان واقع تحت قانونها وهو العيش وفق مبدأ الشهوة، ولا يتصرف وفق العقل، لأن الانفعالات تقوده وهو يتماشى وفق القوانين الطبيعية مثله مثل الحيوان، ولذلك أن كل من يتصرف وفق قوانين الطبيعة إنما يمارس حقه الطبيعي المطلق.

يرى سبينوزا أن الحق هو "تلك القوانين الطبيعية التي بها نتصور كل فرد على أنه مقدر عليه بالطبيعة أن يعيش على نحو معين"<sup>2</sup>، الأفراد مقدر لهم أن يعيشوا على المنوال الذي وضعته الطبيعة لهم ويضرب لنا مثلا على ذلك: "فمثلا يتحتم على الأسماك، بحكم طبيعتها، أن تعوم وأن يأكل الكبير منها الصغير، والتالي تستمع الأسماك بالماء، ويأكل الكبير منها الصغير طبقا للقانون الطبيعي المطلق"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 367.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن بدوي : الموسوعة الفلسفية، ص 143.

<sup>3</sup> - أسبينوزا باروخ، رسالة في اللاهوت والسياسة، ص 367.

يقصد في هذا المثال بأن الأسماء محتم عليها أن تعوم في الماء وفق لقانون الطبيعة وهو أيضا حقها يحكم طبيعتها، والقوي يأكل منها الضعيف هو حق كل نوع من الأنواع بمعنى أن كل فعل يسقط تحت قانون الطبيعة هو حق وهذا الحق هو مطلق.

في هذه الحالة "تتسم فكرة الحق الطبيعي عند اسبينوزا بأنها فرض نظري إلى حد ما فهو يعترف بأن قوى الإنسان -التي تمتد بقدرها حقوقه- تقل طالما كان هناك آخرون يخشونه وطالما كان لكل من هؤلاء الأفراد حقوق مثله"<sup>1</sup>.

الحق في الحالة الطبيعية وهو نظري مجسد على أرض الواقع والقوة هي المعيار الوحيد للحق إذا كنت قوي لك الحق في أن تفعل ما تشاء لأن القوة خلقت للفرد من يخافون منه، وكل فرد له حق مثله .

يرى سبينوزا أن "هذا الحق ليس له من حد سوى رغبة الفرد وقدرته فالحق الطبيعي لا يحتم على أي شخص أن يعيش على هوى الآخر بل أن كل فرد هو الضامن لحرية الشخصية"<sup>2</sup>.

وما نفهمه من ذلك أتاحت الطبيعة للفرد الحرية المطلقة في كل شيء له الحق في أن يفعل ما يشاء دون قيود وبالتالي كل واحد من الأفراد يعتمد على نفسه وهو الذي يضمن حريته.

## 2/الحق في الدولة :

اسبينوزا يقر أيضا بوجود قوانين في الدولة المدنية والتي تشتمل على حق السلطة، وحق الحاكم وحق المواطن.

<sup>1</sup> - فؤاد زكريا :اسبينوزا، ص 229.

<sup>2</sup> - أسبينوزا باروخ :رسالة في السياسة و اللاهوت، ص 117.

الدولة وضعت نظام سياسي على الأفراد تطبيق القوانين التي يسنها النظام، ولكن في المقابل له حقوق وهذه الحقوق مختلفة كل الاختلاف عن الحق الطبيعي، ليس على الفرد أي سلطة على فرد آخر في مجتمعه وهذه الحقوق تعترف بحرية كل فرد، في الحالة المدنية يتحرر الأفراد من سيطرة الانفعالات، لأن العقل هنا هو الذي يحكم.

"أن لكل إنسان في الحالة طبيعية الحق في كل شيء يقع في نطاق منه، وأن هذه الحالة هي حالة خوف عام، ولكي يتخلص الناس منها، يجب عليهم أن يكونوا دولا بإرادتهم"<sup>1</sup>.

لكي يتخلص الإنسان من حالة الخوف والهلع التي تسوده في الحالة الطبيعية، يجب عليه يضع لنفسه مجتمعا يحميه من هذا الخطر الذي يحدق به، وهذا المجتمع يحكم العقل ويخلص من الانفعالات، وهنا يكون له حق التفكير.

يقدم لنا "سبينوزا" ثلاث أنواع للحقوق وهي كالاتي :

### أ/حق السلطة:

يرى "اسبينوزا" بأن للسلطة حق، والمتمثل في حق السيادة وعلى جميع الأفراد احترام القوانين التي تسنها، والعمل بها كما يقول: "أي السلطة المطلقة التي تعطي الأوامر والتي يتعين على كل فرد أن يطيعها إما بمحض اختياره، وإما خوفا من العقاب الشديد"<sup>2</sup>.

السلطة هي التي تضع القوانين وما على الفرد إلا طاعته وهذا يعتبر حق من حقوق السلطة على المواطن، وعليه طاعتها بإرادته وإن خالفها فسيطيعها رغما عنه أي بالعقاب الذي يتلقاه نتيجة المخالفة.

<sup>1</sup>- وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص 128.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص 372.

**ب/حق الحاكم:**

كما أن للسلطة حقا أيضا للحاكم له حقوقا كما يعتقد "سبينوزا"، ويظهر ذلك في قوله: "و كما أن للحاكم حقا مطلقا في أن يعمل كل ما يأمر به العقل أي يحيا طليقا لقانون العقل"<sup>1</sup>. إن الحاكم له الحق أن يقرر ويأمر، وله حق وهذا الحق هو مطلق إلا أنه تحت سلطة العقل، وبالتالي عليه أن يسن قوانين تكون في صالح الشعب وصالح الدولة، في حالة ما إذا استبد سيجد معارضة قوية ضده.

**ج/حق المواطن:**

أما حق المواطن يتمثل حسب رأي "سبينوزا" في الحماية "تقوم السلطة بحماية الناس وبرعاية العقد الذي به ينتقل الناس من العيش وفقا للطبيعة إلى العيش وفقا للعقل"<sup>2</sup>.

ومن حق المواطنين تحقيق لهم الأمن والاستقرار داخل الدولة لأنه شرط من شروط العقد وعلى الفرد أن يطيع السلطة لكي يتحقق الأمن، "ولا يعني دخول الناس في العقد الاجتماعي وطاعتهم للسلطة الممثلة لهم وقوعهم في العبودية"<sup>3</sup>، بمعنى أنه ليس عبدا للسلطة لأن العبودية تخلي عنها في الحالة الطبيعية أما الآن هو حر لأنه يعيش وفق العقل، في حين يرى إذا صدر أي خطأ من طرف السلطة له الحق في المعارضة والثورة.

ويدعو إلى " المحافظة على حق الآخرين، كما لو كانوا يحافظون على حقوقهم الخاصة"<sup>4</sup> من حق المواطنين على بعضهم البعض لا فرد يمس حق فرد آخر، لأنه لو فعلها سيكون هناك ثأر وأيضا سيهتكون حقوقه، لذا وجب أن يضع لنفسه شرطا بأن يحافظ على حق غيره كما لو كانت حقوقه.

<sup>1</sup> - سبينوزا باروخ : رسالة في اللاهوت والسياسة، ص 368.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 87.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 37.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 370.

## المبحث الثاني: الدين والسياسة

خصص "سبينوزا" كتابا يدرس فيه السياسة والدين بعنوان "رسالة في اللاهوت والسياسة"، والذي يتحدث فيه عن الدين والدولة، أو كما يقول هو السياسة واللاهوت ويدرس العلاقة القائمة بين هذه الثنائية، ويقول: "أن الدين لا يكتسب قوة القانون إلا بإرادة من لهم الحق في الحكم، وأن الله لا يباشر حكما خاص على البشر إلا بواسطة أصحاب السياسة"<sup>1</sup>.

إن الحاكم هو الذي يتحكم في الدين، والدين هو تحت سلطة القانون، والله يحكم البشر إلا من خلال الحكام لذا وجب الطاعة، "وفقا لحجج سبينوزا السياسية في قوانين نظام الحكم الأفضل، فإن الدين يقدم، في واقع الأمر برهانا على أن التقوى تكمن بصورة دقيقة في طاعة النظام السياسي الصحيح، وبصورة أكثر عمومية طاعة المرء لحكومته التي تتكون بصورة مشروعة أو قانونية"<sup>2</sup>، يقدم سبينوزا دليلا واضحا من الدين الذي ينص على طاعة الحكومة، وخاصة إذا كانت صالحة وتظهر التقوى حينما يكون الفرد فردا صالحا مطيعا في مجتمعه وهي صورة من صور التقوى التي يقر بها هذا الدين وعلى الأفراد إتباعها.

يقول "سبينوزا" في مطلع "رسالته السياسية اللاهوتية": "وفيها تتم البرهنة على أن حرية التفلسف لا تمثل خطرا على التقوى أو على سلامة الدولة بل إن القضاء عليها قضاء على سلامة الدولة وعلى التقوى ذاتها في آن واحد"<sup>3</sup>، ويقصد بذلك أن الفلسفة لا تضر الدين ولا الدولة بل العكس باعتبار الفلسفة صادرة عن العقل، وهي التي تسهم في تشكيل دولة ناجحة.

<sup>1</sup> - أسبينوزا باروخ، رسالة في اللاهوت والسياسة، ص 422.

<sup>2</sup> - ليو شتراوس : جوزيف كروبسي، تاريخ الفلسفة السياسية من ثيوكلديديس حتى اسبينوزا، ص 680.

<sup>3</sup> - اسبينوزا باروخ: رسالة في اللاهوت والسياسة، ص 107.

يريد أن يوصل فكرة مفادها أن "الغرض إذن هو حرية التفلسف وهذا يتقابل مع مجالين آخرين - اللاهوت (مجال التقوى) والسياسة (مجال السلم والأمن) - حتى نتساءل ما إذا كان بالإمكان أن نجد أسباباً لإنقاصها ولمنعها"<sup>1</sup>، بمعنى أن الفلسفة تقرب بين ما هو ديني وما هو سياسي فهي تبحث عن ما إذا كان بالإمكان أن يكون الدين جزء من السياسة أو أنه مفصول عنها.

"إن حرية التفكير شرط لتحقيق الأمن الداخلي في الدولة، إذ أن حرية الفكر دعامة الرأي العام، والرأي العام هو الرائد لكل ما يحدث في الدولة خاصة في الأمور الداخلية، فإذا قضي على حرية الفكر قضي على الرأي العام وأصبحت الدولة بلا دعامة داخلية، يفعل الحاكم ما يشاء وتفعل أجهزة الحكم ماتريد، ثم تنشأ الجماعات السرية المناهضة للحكم ويقضى على أمن الدولة"<sup>2</sup>.

إذا على الدولة أن تعطي حرية الرأي للمواطنين إذ لم تحقق لهم ذلك فإن الدولة تصبح هشة من الداخل وبالتالي تنشأ الفوضى، "وينظر سبينوزا إلى مشكلة الدين ومشكلة السياسة هما وجهان لمشكلة واحدة: والمهمة هي طرد الخوف والبغضاء ورد العقل إلى الأرض"<sup>3</sup>.

ويظهر من خلال ذلك أن السياسة والدين كلاهما يبحثان عن الأمن والسلم والتخلص التام من الخوف والكراهية أي سيطرت العقل لا الشهوات التي تتحكم في الفرد.

يشدد "سبينوزا" في رأيه "على أن الدولة أساساً طبيعياً وعقلانياً وليس لاهوتياً ومع أن اسبينوزا يظهر أكبر احتراماً للسلطات القائمة، فإنه يعلن تفضيله للنظام الليبرالي، لاسيما

<sup>1</sup> - بيار فرانسوا مور: اسبينوزا والاسبينوزية، تر، جورج كتور، سلسلة نصوص، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2006، ص 73.

<sup>2</sup> - حسن حنفي: في الفكر الغربي، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1990، ص4، ص78.

<sup>3</sup> - جان توشار : تاريخ الأفكار السياسية من عصر النهضة إلى عصر الأنوار، ص 393.

في المسائل الدينية<sup>1</sup>، بمعنى أن الدولة طبيعية باستعمالها العقل فهو يحترم كلتا السلطتين إلا أنه معجب بالنظام الليبرالي الديمقراطي لأنه يتيح الحرية للأفراد وخاصة حرية التفكير وحرية الاعتقاد والدين.

و هذا ما قاله "راسل" عن "سبينوزا": "و هو يرى بوجه خاص حرية الرأي، ولست أعرف تماما كيف يوفق بين هذا وبين الرأي القائل بأن المسألة الدينية ينبغي أن تحسم فيها الدولة أكثر مما تحسم فيها الكنيسة"<sup>2</sup>.

كما قلنا سابقا أن "سبينوزا" يقر بحرية الرأي وأن الدولة هي التي تقرر وتوجد حلولاً للمشاكل الدينية فالدولة هي التي تضع قوانين للدين وهذا ما يظهر فيه قوله: "و على ذلك فما دام العقل والتجربة يشهدان بأن القانون الإلهي يقوم على مشيئة السلطات العليا الحاكمة وحدها"<sup>3</sup>، فالدولة هي التي تبحث وتقرر في الأمور الدينية، والدين راجع إلى السلطات الحاكمة.

و من الأسباب التي جعلته يفضل النظام الديمقراطي "من خصائص الملفتة للنظر لديمقراطية اسبينوزا هي أنها تعطي للسلطة صاحبة السيادة الحق في" أن تجعل القوانين الخاصة بالدين تلك القوانين التي تقرها"<sup>4</sup>.

تتيح الديمقراطية المجال لأصحاب الحكم في إصدار القوانين وخاصة الدينية منها، أي تتيح لها فرصة تقرير كل شيء عنها، والذي سنتطرق لاحقا.

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 393.

<sup>2</sup> - راسل برتراند: تاريخ الفلسفة الغربية، ص 122.

<sup>3</sup> - اسبينوزا باروخ: رسالة في اللاهوت والسياسة، ص 425.

<sup>4</sup> - ليو شتراس، جوزيف كروبسي: تاريخ الفلسفة السياسية ثيوكديديس، حتى اسبينوزا، ص 685.

لكي لا يحدث ما حدث في الدولة العبرانية" واختلط التنظيم الديني بالتنظيم الوصفي، وكانت مبادئ الإيمان في مجموعة من القوانين وكان الدين واجبا وطنيا<sup>1</sup>.

و لقيام هذه الدولة على الحكم الثيوقراطي أصبح الإيمان مجموعة القوانين على الرعاية إتباعها، وأصبح الدين بمثابة واجب وطني يقوم به الشعب العبراني ، والذي أدبالشعب إلى عدماالترقة بين ما هو ديني وما هو وطني.

وانطلاقا من هذا حاول الانتقال من الدولة الثيوقراطية التي يحكمها رجال الكنيسة إلى الدولة الديمقراطية التي تعتبر أفضل الدول في نظره لأنها تتيح للأفراد حرية الرأي والاعتقاد والتي سنتطرق إليها لاحقا.

و باعتبار الدولة الثيوقراطية لا تتيح المجال للأفراد البحث في الدين ورجال الدين هم الذين يفسرون ما شاءوا من الوحي، وما على الشعب إلا أن يتبع ما يقال له دون مخالفة ولا توجد أي أهمية لرأيه وهو أيضا لا يتدخل في الدين و محاولة فهم ما جاء في الوحي أو تفسير الكتاب المقدس.

وهو يرى بأن "الدولة التيوقراطية تمتلك طابعا دوغمائيا، متناقضا للطابع الحر للدولة الديمقراطية، وفي تلك الدولة يمثل التدين التعريف العام والخاص للرعاية حيث يطغى اللاهوت على السياسة والحياة الأخرى عن الدنيا وتنتشر قيم التعصب والتطرف"<sup>2</sup>.

إذ أن هذه الأخيرة لا تمنح الحرية للأفراد، وعلى جميع الأفراد أن يكونوا متدينينتابعين لها والتي يسيطر فيها رجال الدين على السياسة.

<sup>1</sup> - اسبينوزاباروخ : رسالة في اللاهوت والسياسة، ص 90.

<sup>2</sup> - منذر شيباني :سبينوزا واللاهوت، ص 78.

حيث يرى أن النظام الثيوقراطي، " لا يصلح نظام الحكم الإلهي إلا لشعب مغلق على نفسه مقطوع الصلة بينه وبين باقي الشعوب الأخرى لذلك لا يصلح هذا النظام في الظروف الحاضرة"<sup>1</sup> لأن هذا الدين لا يسمح لغير اليهود إن يعيشوا بينهم.

يدرس "سبينوزا" الصلة التي تربط بين اللاهوت والسياسة ويتجلى ذلك في قول المترجم حسن حنفي: "بينما يدعوا اسبينوزا للفصل بين الدين والدولة في نظام الحكم"<sup>2</sup>، وهذا يعني أنه لا يمكن أن يتدخل الدين في الدولة، وفي حالة استلام رجال الدين الحكم يضر الدولة أكثر ما ينفعها، كما لاحظنا ذلك في العصور الماضية على وجه الخصوص العصر الوسيط، عندما سيطر رجال الدين على الحكم، كان كل من استعمل عقله وحاول البحث في الدين أعدم مثل غاليلي لأنه جاء بأفكار مناقضة لمبادئ الكنيسة أي لا وجود لحرية التفكير.

ولذا "فإن الفصل بين اللاهوت والدولة حيث يعمل كل منهما مستقلا عن الآخر، لا يبدو حلا بالنسبة لاسبينوزا بل المطلوب اسبينوزيا أن يتحول اللاهوت دولة القانون (الديمقراطية) إلى مجرد تعاليم عقلية"<sup>3</sup>، بمعنى أن "سبينوزا" لا ينفي وجود الدين وإنما يكون تحت سلطة الدولة فهي التي تصدر التعاليم اتجاهه.

حين يقول بالفصل بين السياسة واللاهوت، "لا يقصد اسبينوزا أن يلغي الدين وإنما بالأحرى أن يتجنب خضوع الدولة "لأحكام كل شخص وانفعالاته المتنوعة..."<sup>4</sup>، فهو لا يريد أن تخضع الدولة لانفعالات الأفراد، فالدولة يسيرها العقل، والدين يصبح من أحكامها التي تقررها، والسلطة هي التي تشرف عليها لتحقيق الأمن والسلم لأن الشعب تتحكم به عواطفه التي يفعل كل شيء لإرضائها وهذا قد يضر بالدولة .

<sup>1</sup> - حسن حنفي: في الفكر الغربي، ص 78.

<sup>2</sup> - اسبينوزا باروخ: رسالة في اللاهوت والسياسة، ص 98.

<sup>3</sup> - منذر شيباني: اسبينوزا واللاهوت، ص 79.

<sup>4</sup> - ليو شراوس، جوزيف كروبسي: تاريخ الفلسفة السياسية من ثيوكلديديس حتى اسبينوزا، ص 685.

ويؤكد "سبينوزا"، "ينتج الضرر للدين والدولة إذا ما أعطى رجال الدين سلطة السياسة في الدولة، ولا ينشأ الاستقرار إلا بفصل السلطتين، والحد من سلطة رجال الدين حتى يتفرغوا لأمر الدين والعقائد السلفية الشائعة"<sup>1</sup>، وفي حالة استلام أرباب الدين الحكم فهذا يؤدي بالدولة إلى مخاطر عديدة، لذا لا بد أن كل واحد منهما يعمل في مجاله الخاص ، فرجال الدين مهمتهم الاشتغال في العقيدة لا غير أما مهمة السلطة هي الحفاظ على الاستقرار السياسي داخل الدولة.

"و في هذا السياق تدرج دعوة اسبينوزا إلى الفصل بين الدين والدولة، من أجل وضع حل نهائي لطغيان رجال السياسة الذي يتستر وراء راية الدين ويتدرع به أمام غضب الشعب"<sup>2</sup>، لأن الكثير من رجال الحكم وخاصة في النظام الملكي يضعون الدين في الواجهة، حيث يصبح الأفراد عبيدا لديهم، ولخوف المواطنين من رجال الدين، لا يكون لهم الحق في المعارضة لكن في حالة فصل الدين عن السلطة تصبح الأمور ظاهرة ومن حق الفرد الثورة على الحاكم الغير عادل.

إن رجال السياسة يريدون أن يسيطروا على الشعب بجميع الطرق المتاحة، "ولذلك كانت الخرافة أفضل الوسائل لتسيير العامة ،فتحتفل السلطات بالموالد وبأتقياء الله وعبادة الصالحين لتسيير العامة وراءها وتنظر الى الملوك باعتبارهم الهة ثم يزينون الدين بالشعائر"<sup>3</sup>، أصبح الدين عبارة عن أداة يستخدمها السياسيون للسيطرة على الجمهور.

<sup>1</sup> - اسبينوزا باروخ: رسالة في اللاهوت والسياسة، ص 97.

<sup>2</sup> - سبينوزا باروخ: رسالة في إصلاح العقل، تر، جلال الدين سعيد، دار الجنوب للنشر، تونس، د.ط، د.ت، ص 21.

<sup>3</sup> - حسن حنفي: في الفكر الغربي، ص 57

و لهذا يطالب سبينوزا انه "يجب أن تتحرر الدولة من كل تأثير للسلطة الدينية ولا تسمح لها بأي تدخل في أمورها"<sup>1</sup>، إذا تخلصت الدولة من هذا التأثير، فتصبح حرة في سن قوانينها ويبقى الدين تحت رعاية الدولة وله مجاله الخاص به.

ويعطينا سبينوزا مثال ما يفعله الحكام لكي يظهرون في صورة حسنة، "يكثرو الحكام من بناء المعابد حتى يخضع الشعب لله والحاكم في نفس الوقت ..وتحولت الكنائس إلى مسارح، ورجال الدين إلى خطباء محترفين لا يرمون تعليم الشعب بل التكسب منه كما يفعل الحكام الطغاة.ومن هنا جاء التواطؤ بين رجال الدين وأصحاب السلطة، بين المعابد وأقسام الشرطة"<sup>2</sup>، لسيطرة على الشعب يتظاهرون بحبهم للدين وذلك بإنشاء منشآت دينية ولتحقيق مصالحهم يتواطئون مع رجال الدين.

و يصل "سبينوزا" إلى نتيجة "و هي أن النظام الإلهي لا يصبح في الظروف الحاضرة نظرا للخلط بين الدين والدولة أي بين السلطة الدينية والسلطة السياسية"<sup>3</sup> بمعنى أن كل من الدين والسياسة له مجاله الخاص، فالدين له مؤسساته الخاصة وهو يهتم بالأمور الروحانية، والعقيدة هي جانب داخلي متعلق بالإيمان، أما السياسة فهي كذلك لها مؤسساتها الخاصة فهي تطبق قوانينها على الدولة الدنيوية بحيث تقوم بردع أعمال الناس الخاطئة، فكل واحدة منهما له وظيفته لكي لا يخلط بينهما المواطن لأن في حالة اختلاطهما لا يستطيع أن يفرق بينهما.

ويرى سبينوزا، "إذا على اللاهوت أن يخضع كغيره من الفاعليات الموجودة في الدولة وأن يكون جزءا منها لا أن يكون دولة داخل دولة"<sup>4</sup> فالدين يجب أن يكون من الأمور التي تشتغل فيها الدولة، فإذا كان مستقلا بذاته يشكل خطرا على أمنها واستقرارها.

<sup>1</sup> - عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية، ص 144.

<sup>2</sup> - حسن حنفي: في الفكر الغربي، ص 57.

<sup>3</sup> - اسبينوزا باروخ: رسالة في اللاهوت والسياسة، ص 96.

<sup>4</sup> - منذر شيباني: سبينوزا واللاهوت، ص 80.

## المبحث الثالث: الدولة الديمقراطية

الدولة عن "سبينوزا" نشأت نتيجة اجتماع بشري وذلك عن طريق عقد كما ذكرنا سابقا، ويعرف الدولة بأنها: "الحق الذي يتعين بقوة الجمهور"<sup>1</sup>، بمعنى أن الدولة جاءت نتيجة اجتماع الأفراد فيما بينهم الذي منحها قوة، فهي تكتسب مشروعيتها منهم.

و يرى بأن الدولة جاءت لا لفرض سلطتها وسيادتها على المواطنين، بل جاءت لتحمي حقوقهم بعيدا عن الظلم والخذاع، "و لذلك فإن الدولة الأفضل تحصل على الطاعة، ليس عن طريق الخوف، وإنما عن طريق العقل"<sup>2</sup>، ولكي تتجح هذه الأخيرة وتستمر ما عليها إلا استعمال العقل، وبذلك تحصل على طاعة الأفراد، لا بتخويفهم وترهيبهم.

وأيضاً يعتقد بأن "منذ هذه اللحظة يجعل من الدولة كيانا له سلطته المعنوية الخاضعة التي تطاع لذاتها لا من أجل كونها مجموعا لسلطات الأفراد"<sup>3</sup>، من خلال هذه المقولة يبدو أن الدولة هي أيضا تنازلت عن حقها في القوة والأفراد يطيعونها لأنهم يريدون طاعتها لا بالضغط عليهم بسلطتها أو بإجبارهم على الخضوع لها.

وهذا لا يعني تعارض الطبيعة الإنسانية، وإنما هي تكبح من جملة الانفعالات الصادرة من الإنسان والتي تشكل خطرا عليه، لكي يصبح إنسان عاقل، ويصبح مواطن يملك حرية الرأي والتفكير، "و على هذا الأساس دافع اسبينوزا بقوة على الدولة الديمقراطية، وأكد أن النظام الديمقراطي هو الذي يكفل للفرد أعظم قدر من الحرية، ويكفل للقوانين الاقتراب من العقل السليم"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - اسبينوزا باروخ: رسالة السياسة، نقلا عن: منذر شيباني، سبينوزا واللاهوت، ص 75

<sup>2</sup> - ليو شتراوس، جوزيف كروبيسي: تاريخ الفلسفة السياسية من ثيوكلديديس حتى اسبينوزا، ص 676.

<sup>3</sup> - فؤاد زكريا، اسبينوزا، ص 230.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 231.

يدافع "سبينوزا" عن الدولة الديمقراطية لأنها الأقرب لطبيعة الإنسان ، لاستعمالها العقل، وهي تمنح الحرية للمواطنين في إبداء آرائهم، ولا نقصد بذلك الحرية المطلقة لأن الحرية المطلقة كانت في الحالة الطبيعية، بل إن الفرد يمارس حريته في مجتمع منظم فيه قوانين، والسلطة السياسية هي التي تسهر على تحقيق هذا النظام ولا أحد يمس حقوقه أو يضره، وأيضا تضع له حدود لا يجب أن يتجاوزها.

ويرى بأن ،"بل إنه أساس الدولة الديمقراطية تحديدا، إذ إن الاعتراف بمصالح الآخرين وبأن مصلحة الفرد لا تتحقق إلا بتحقق مصالحهم، وهو مبدأ الديمقراطية"<sup>1</sup>، في هذا النظام تتساوى المصالح، فالديمقراطية تقوم على المساواة والعدل بين الأفراد فهي تؤدي واجب سياسي وأخلاقي في نفس الوقت.

إذ يعتقد "سبينوزا" بأن "الدولة الديمقراطية تلك، هي الدولة أقرب إلى الطبيعة، لأنها ملتقى تجمع ال (Endeavour) الفردي مع الآخر وتشكل (Endeavour) الجماعي ضمن إطار اجتماعي وسياسي هو الدولة الديمقراطية هنا التي ستعمل على تحقيق مطلب الجميع"<sup>2</sup>، فالدولة الديمقراطية لا تتعارض مع الحق الطبيعي وبالتالي تعتبر أقرب إلى الطبيعة لذا سبينوزا يدافع عنها، بعدما كان الفرد لوحده يسعى للعيش ولتحقيق مصلحته أصبح يعيش في جماعة مصالحهم متساوية أي لا أحد يضر بالآخر وهي التي تجمع شملهم وتسهر على تحقيق جل المطالب التي يحتاجها الجميع.

### 1/ أشكال السيادة:

وفي مناقشته لأنظمة الحكم، "سبينوزا في "الرسالة السياسية" يدرس ثلاث أشكال من أشكال الحكم أو السيادة كما يسميه وهي الملكية والارستقراطية، والديمقراطية"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - منذر شيباني: سبينوزا واللاهوت، ص 77.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 77.

<sup>3</sup> - عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية، ص 144.

يرى سبينوزا أن هناك ثلاث أنظمة للحكم، الحكم الملكي (**Monarchie**) والتي تكون فيه السلطة بيد رجل واحد، والارستقراطية (**Aristocratie**) عندما يكون الحكم في يد جماعة من الأفراد، وأخيرا هو النظام الديمقراطي (**Démocrate**) عندما يمثل المجتمع في مجلس النواب وقع عليهم اختيار الشعب وذلك بالانتخابات.

### أ- النظام الملكي:

يعني سبينوزا بالنظام الملكي "هو نظام الحكم المطلق المغلق الكلي؛ حيث لا يتنازل الملك عن أي جزء من ملكيته؛ هو نظام ملم بنقائص وينطوي على مخاطر على اعتبار أن الملك يعيش بعيد عن رعيته"<sup>1</sup>.

النظام الملكي يعتبر أول نظام تطرق له سبينوزا في كتابه "الرسالة السياسية" وفي هذا النظام لا يتنازل فيه الملك عن ملكيته وقوته وهو يخضع لإرادة العامة باعتبار أنه لا يمكنه ان يحمل شؤونهم لوحده، لهذا ينطوي على مخاطر، وله مجلس نواب يساعده في الحكم، والمواطنين ملزمين على طاعة أوامر الملك.

كما يؤكد، "و يؤكد اسبينوزا في مواضيع عديدة رفضه للنظام الملكي، ولكنه على ما يبدو كان يدرك أن هذا النظام لا مفر منه في كثير من بلدان في ذلك العصر، فحاول أن يخفف من أضراره قدر الإمكان"<sup>2</sup> ويقصد بذلك أن سبينوزا يرفض هذا النظام لأن أسسه هشة، وباعتبار أن هذا النظام متداول كثيرا حاول التعديل فيه فهو يعلن بوضوح قلة ميله لأنظمة الحكم الملكية "و يلمس المرء كم هو مضر للشعب، الذي لم يعتد قط على السلطة

<sup>1</sup> - مصطفى عبد القادر : الديمقراطية عند اسبينوزا لطبيعتها، نظامها، مشكلتها، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية.

<sup>2</sup> - ليو شتراوس، جوزيف كروبسي : تاريخ الفلسفة السياسية من ثيوكلديديس حتى اسبينوزا، ص 231.

الملكية والذي يملك دستورا، أن يحكم حكما ملكيا"<sup>1</sup>، فالنظام الملكي هو نظام يسبب ضرر للشعب، الذي لم يسبق له من قبل أن مر على الحكم الملكي.

ويقر بأن هذا النظام يجعل الناس يخافونه وأيضا يخدعونهم، "إن السر الكبير في النظام الملكي ومصالحته الحيوية في خداع الناس وإضفاء اسم الدين على الخوف الذي تتم السيطرة عليهم وحيث يناضلون من أجل عبوديتهم"<sup>2</sup>.

يقصد سبينوزا هنا بأن النظام الملكي يقوم على الغش والخداع بالتستر وراء الدين باعتبار أن المواطنين يقدسون الدين، وبهذه الطريقة يسيطرون عليهم ويتحكمون فيهم، إذ يؤدي بهم العيش في عبودية و يناضل من أجلها.

و تدريجيا حتى يتحول هذا الحكم إلى استبداد لأنه كلما أرادوا رفض هذا الحكم، يتصدى لهم الملك بشتى الوسائل "و على هذا الأساس يرفض اسبينوزا الملكية"<sup>3</sup>.

لأن هذا النظام يحاول السيطرة عليهم والملك يفرض قوته وهيمنته كما كان الحال في الحالة الطبيعية ويرجع الخوف وألا أمن داخل الدولة، وهنا الملك يمس بشروط العقد، التي أساسها حماية المواطن لا تخويفه وإجباره على ما لا يريد.

وما سهل لهم الاستمرار في خداعهم هو الدين، "و لذلك كان من السهل باسم الدين دفع العامة تارة إلى عبادة الملوك وكأنهم آلهة"<sup>4</sup>.

الشعب يستغل من طرف الملك، وجعله يعبدونه، ويتقبلون أشكال القمع الذي يصدر منه، ويخافونه لأنه يمثل الدين ويعبدونه كما تعبد آلهة.

<sup>1</sup> - راسل برتراند : تاريخ الفلسفة الغربية الفلسفة الحديثة، ص 494.

<sup>2</sup> - اسبينوزا باروخ : رسالة في اللاهوت والسياسة، ص 112.

<sup>3</sup> - ليوشتراوس، جوزيف كرويسى : تاريخ الفلسفة السياسية من ثيوكلديديس حتى اسبينوزا، ص 677.

<sup>4</sup> - اسبينوزا باروخ: رسالة في اللاهوت والسياسة، ص 111.

و في هذا النظام يحاول الحاشية والوزراء الذين لديهم نفوذ على مكانتهم، ويحافظون على الملك لا على الدولة لأن الاهتمام كله موجه نحو الملك ويحاولون جعل حكمه قوي.

"و هو إذ يتكلم عن الملكية فذلك ليشير تاريخيا إلى أولى درجات انحلال الدولة العبرانية، وليشير تحليليا إلى تقارب بين الملكية والوهم"<sup>1</sup>. و يقصد بذلك أن الدولة لا يمكن أن تقوم على النظام الملكي والدولة مآلها إلى الانحلال لأن هذا النظام عاجز عن تحقيق الدولة مستقرة، وأن الملكية لا تحقق أي شيء .

"و لكي يرقى النظام السياسي يجب أن يتوافر له التفكير الصحيح الحر، أما الدكتاتورية فهي ألد أعداء الحرية الفكرية والسياسية فضلا عن كبت الحريات وخاصة حرية التعبير، عن الفكر والإرادة"<sup>2</sup>، الدكتاتورية والتي تسود في النظام الملكي حين يستبد الملك ويصبح ظالم لا يسمح للشعب بحرية التعبير عن آرائهم أو حرية الفكر، فهم يقيدون العقل، لا يسمحون له بإعطاء رأيه وإجبارهم على الطاعة .

### ب- النظام الارستقراطي:

يأتي النظام الارستقراطي وسطا بين النظام الملكي والنظام الديمقراطي كما ذكرنا سابقا بأن الحكم فيه يكون لعدد من الأفراد، والذين تم اختيارهم حسب معايير، لأنهم يمثلون طبقة الأشراف حسب رأي اسبينوزا،"في الارستقراطية، يخلد المجلس الحاكم النبيل عن طريق انتخاب أعضاء جدد"<sup>3</sup>، ويظهر لنا هذا النظام أنه يخضع لإلاانتخاب وكل مرة يتغير المجلس حسب التصويت، ويأتي حاكم جديد، وليس للشعب التدخل في هذا الحكم.

<sup>1</sup> - بيار فرانسوا مورو :اسبينوزاوالاسبينوزية، ص 104.

<sup>2</sup> - إبراهيم مصطفى إبراهيم : الفلسفة الحديثة من ديكرت إلى هيوم ،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، د.ط ، د.ت، ص208.

<sup>3</sup> - ليو شتراوس، جوزيف كروبسي : تاريخ الفلسفة السياسية من ثيوكلديديس حتى اسبينوزا، ص 179.

وأيضاً " يقول اسبينوزا في فصل عن الارستقراطية في كتابه الرسالة السياسية من الصواب أن تعامل كل المواطنين بوصفهم متساويين، لأن سلطة كل منهم بالنظر إلى الدولة كلها مهمة"<sup>1</sup>، و يعني بذلك في هذا النظام الكل ينظر إلى مصلحته الخاصة وقوته ويؤدي ذلك إلى إهمال الدولة، لأن كل شخص له مصالح الخاصة، التي يسعى جاهداً للوصول إليها.

ولكن عندما " يناقش اسبينوزا حقوق السلطات العليا بوجه عام، وصورة الارستقراطية بوجه خاص، فإنه يناصر ديانة طبيعية تحدها الدولة، وبالتالي ذات شعار عام منظم"<sup>2</sup>. و يقصد بذلك أن أي نظام يهدف إلى تحقيق الأمن العام، والمساواة بين الأفراد تحدها الدولة.

### ج- النظام الديمقراطي:

آخر الأنظمة التي تطرق إليها سبينوزا، حيث عرف الديمقراطية في كتابه رسالة في اللاهوت والسياسة بقوله: "فالديمقراطية هي اتحاد الناس في جماعة لها الحق المطلق على كل ما في قدرته"<sup>3</sup>.

خلافاً للنظام الارستقراطي، فإن النظام الديمقراطي يمنح لجميع المواطنين أن يؤدوا واجباتهم اتجاه الدولة، ومن حقوق الدولة عليهم الخضوع لقوانينها، وفي هذا النظام من حق الشعب تسيير شؤون الدولة.

كما يؤكد سبينوزا أيضاً بضرورة "الديمقراطية ويعتبرها من أكثر التنظيمات المجتمع عقلانية، وأفضل الحكومات هي التي تهتم بالمجتمع التجاري الذي يتوقف نشاطه على

<sup>1</sup>-المرجع نفسه، ص 685.

<sup>2</sup>-ليو شتراوس، جوزيف كرويسى: تاريخ الفلسفة السياسية من ثوكيديديس حتى اسبينوزا، ص 144.

<sup>3</sup>- اسبينوزا باروخ: رسالة في اللاهوت والسياسة، ص 372.

قدر كبير من الحرية والأمان"<sup>1</sup>، أي أنسبينوزا يفضل النظام الديمقراطي باعتباره أكثر الأنظمة استقراراً، وهو الضامن للحرية، إذ يستمد مشروعيتها من العقل، وفي المجتمع الديمقراطي تتوحد فيه رغبات الأفراد وإراداتهم التي تستند إلى إرادة الأغلبية، باعتبارها ناتجة عن اتفاق بين الأفراد، لا يخضعون فيها سوى لسلطتهم التي تعمل لصالح الشعب، وما يميز هذا النظام الذي يهتم بالاقتصاد إذ تتيح للأفراد الملكيات الخاصة فيها، ومن خاصية هذا النظام أن الأفراد حكما ومحكومين.

وينادي أيضا سبينوزا، "أن النظام الديمقراطي يعقلن الحالة الطبيعية أو يحقق ما هو مضر في الحالة الطبيعية"<sup>2</sup>، المعنى من هذا أنه النظام الوحيد الأقرب إلى الحالة الطبيعية ولكنه يكبح من الرغبات والشهوات، ويصبح الإنسان فيه عقلاني وبالتالي يحقق ما يريد بعقله و لديه حرية التفكير والرأي.

"و لذلك كان اسبينوزا نصيرا للديمقراطية ومدافعا عنها وهي التي يجب أن يسمح فيها للفلسفة (التي تحمي مصالح المجتمع) بحرية الكلام لكي تعكس، وتشبه الاختلاف الطبيعي في الناس"<sup>3</sup>، فالديمقراطية في نظره تحمي المجتمع وفي نفس الوقت تحمي الفرد وتحاول أن تحقق له أكبر قدر من الراحة.

ولا يمكن لأي نظام سياسي أن يقوم إلا على وجه أفراد مختلفين في فكرهم وفي ثقافتهم، وهي أساس لتطبيق الديمقراطية، ويعتبر هذا النظام الذي يشجع الفلسفة التي تعلم الاختلاف وتدافع عن الحرية، وعلى الفيلسوف أن يدعم الديمقراطية للمحافظة على الفلسفة، "إن ضمان حياة الفرد وحرية الفكرية هي المعيار لصلاحية الحكومة والنظام الاجتماعي، وكل سلطة

<sup>1</sup> - إبراهيم مصطفى إبراهيم : الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، ص 209.

<sup>2</sup> - ليو شتراوس، جوزيف كرويسى : تاريخ الفلسفة السياسية من ثيوكلديديس حتى اسبينوزا، ص 678.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 668.

تعنى بحماية المواطنين وحريتهم الفكرية والسلطة الشرعية<sup>1</sup>، إن على الدولة التي تتحلى بهذا النظام أن تتيح الحرية وهي مكلفة بحماية الشعب.

يرى سبينوزا<sup>2</sup> أن يقوم النظام الديمقراطي العاقل بالموازنة بين القوة والذكاء حتى يحافظا على كليهما<sup>3</sup>، ويقصد بذلك بموازنة القوة التي كان يملكها في الحالة الطبيعية وبين الذكاء الذي يستخدمه في الحالة المدنية وهنا يمكنه المحافظة على كليهما.

ويخلص في النهاية بقوله بأن أفضل الحكومات والتي يقصد بها الديمقراطية "ذلك الذي يتأسس على العقل ويسترشد بالعقل"<sup>3</sup>.

ويقر بأن "وظيفة الدولة العليا أن تكفل الأفراد حريتهم، ومعنى ذلك أن الديمقراطية هي المثل الأعلى لنظام الحكم، ثم يستدرك سبينوزا بقوله أن ضرر الديمقراطية الوحيد هو ميله إلى وضع غير الأكفاء في مناصب الحكم"<sup>4</sup>، وفي النهاية يقر بأنه أفضل نظام للحكم وعيب هذا النظام، من يأخذ الحكم من ليس كفؤا وليس قادرا في التحكم بزمام الأمور.

<sup>1</sup> - إبراهيم مصطفى إبراهيم : الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، ص 210.

<sup>2</sup> - ليو شتراوس، جوزيف كرويسى : تاريخ الفلسفة من ثيوكلديديس إلى اسبينوزا، ص 678.

<sup>3</sup> - اسبينوزا باروخ: الرسالة السياسية، نقل عن: عبد الرحمن بدوي، الموسوعة الفلسفية، ص 144.

<sup>4</sup> - زكي نجيب محمود : فلسفة اسبينوزا، مجلة الرسالة، العدد 15، 15 - 08 - 1933، نقل عن :

file:///c:/users/maison xp/downloads/,2017

وما نخلص له في آخر هذا التحليل السابق بأن السياسة نتجت وبدأت منذ أن بدأ الإنسان بتشكيله لمجتمعه والتي عرف فيها الإنسان هذا التنظيم، الذي يسوده الأمن والاستقرار، لأنه أصبح يحكم بواسطة العقل.

أما عن السياسة واللاهوت كما يقول هو أنه حدث خلط بين هذين المجالين ولكي لا يحدث نفس الذي حدث مع الدولة العبرانية يجب فصلهما عن بعضهما البعض لأن كلا من هذين المجالين له مجاله الخاص به.

ولهذا وصل أن الدولة الديمقراطية هي التي أتى بها بديلا عن الدولة الشيوقراطية واعتبرها أفضل الدول، لأن الأفراد يعيشون متساوين في الحقوق والواجبات ولحديثه عن الدولة الديمقراطية كدولة وكنظام، تطرق إلى أشكال الحكم، أو كما يسميه هو أشكال السيادة وهي النظام الملكي والذي رفضه، والنظام الارستقراطي وآخر وأفضل الأنظمة هو الديمقراطي، لأنه يعتبر النموذج الأخير الذي وصل إليه في هذه النظرية.



## دراسة تقييمية لأفكار سبينوزا السياسية:

❖ مكاسب أطروحة سبينوزا

السياسية

❖ حدود أطروحة سبينوزا

السياسية

لقد تشكلت النظرية السياسية عن سبينوزا انطلاقاً من المرحلة الطبيعية التي حكمتها الانفعالات إلى الحالة المدنية التي يحكمها العقل، وقام بفصل الدين عن السياسة لأن كل منهما له مجاله الخاص، حيث وضع لنفسه قوانين حتى وصل إلى الدولة الديمقراطية و فيها يتساوى الأفراد، ولتتبع هذه الدراسة من نجاح الفكر السبينوزي السياسي أو فشله فهناك من اتخذه مصدر إلهام له و اعتبره مرجعاً ، و هناك من نفى و عارض هذا الفكر و منه فالإشكال المطروح كالاتي:

ما مصير الفكر السبينوزي السياسي؟

## المبحث الأول: مكاسب أطروحة سبينوزا السياسية

بدءوا بالاهتمام بفلسفته بعد وفاته بقرن، لأن في الفترة التي عاش فيها لم يكن هناك استعداد لقبول مثل هذه الأفكار، وكذلك في الفلسفة الغربية المعاصرة، حيث تركت فيهم تأثيرا بالغا في فلسفة هؤلاء و ربما ساعدتهم على تشكيل أفكارهم السياسية، "و قد ترك بعد موته أثرا قويا في مجرى الفكر، و تأثر به فلاسفة كثيرون، و حسبك أن تعلم ما قاله هيغل: لن تكون فيلسوف إلا إذا درست سبينوزا أولا"<sup>1</sup>، و هذا ما قاله أحد عمالقة الفلسفة عن "سبينوزا"، على كل فيلسوف إذا أراد أن يكون فيلسوفا يجب أن يمر على فلسفته و هذا دليل على أهمية فكره وعظمته، و هيغل تأثر به واستقى من فكره.

رغم ما قدمه "سبينوزا" من أفكار مفيدة و خاصة في السياسة إلا أن هناك من يكرهه و يمكن له العداء "و لكن ليسنج هو الذي أعاد له شهرته و ذكره. و أثار دهشة الناقد الكبير جاكوبي في أحاديثهما المشهورة عام 1780 بقول أنه تأثر باسبينوزا إلى درجة كبيرة في أعوام نضجه مؤكدا له أنه لا فلسفة إلا فلسفة اسبينوزا"<sup>2</sup>، أقر هذا المفكر بمدى تأثير سبينوزا على فكره و دافع عنه و أعاد إحياء فلسفته .

ويذكر أحد الكتاب بأن، "السبينوزية في هولندا حركة دينية في جوهرها، حركة بدعة؛ فالرعيان فإن لين هوف (1647-1712) و فان هاتم (1641-1702) أذاعا في مؤلفات حررها بلغة العامة أفكار السبينوزا حول الغبطة و الحياة الأزلية"<sup>3</sup>، بمعنى أن هذان المفكران نشرا فكر سبينوزا للعامة و التي تتحدث معظمها عن الدين و السياسة، ونشرا كتبه وبسطاها لكي يستطيع العامة فهمها .

<sup>1</sup> - زكي نجيب محمود :قصة الفلسفة الحديثة، ص 177.

<sup>2</sup> - ويل ديورانت :قصة الفلسفة، ص 246.

<sup>3</sup> - إميل بريه : تاريخ الفلسفة القرن السابع عشر، ص 231.

بدأ تفكيره يصبح عالميا والدليل على ذلك، "لقد ارتفع تأثير سبينوزا في إنجلترا أثناء الثورة، و تأثر به كوليردج و ورد مورث و اقتبس شيلي من رسالة الدين والدولة"<sup>1</sup>، لرقى فكره السياسي والفلسفي فقد أدت قبول كبير في أواسط إنجلترا و استفادوا منه في المجال الديني و السياسي.

ومن جهة أخرى هناك من أحب من الطائفة الأولى فكره، "أما المفكرين اليهود و لاسيما ذوو الاتجاهات الصهيونية المتعصبين منهم، فقد استغلوا كون اسبينوزا قد ولد لأبوين يهوديين، فحاولوا أن ينسبوا إليه...شتى الأفكار المناصرة لدعمهم، و متجاهلين تماما واقعة خروجه على الطائفة اليهودية و طرده منها"<sup>2</sup>، ويقصد بذلك هناك من اليهود من يقدس أفكار سبينوزا و خاصة إذا كان في صالحهم، لكي يدعموا دعوتهم على أساس أنه يعتبر أكبر فلاسفة ذلك العصر متناسيين ما قد فعل به.

"في القرن الثاني بعد وفاته جمعت تبرعات لإقامة تمثال له في لاهاي، و انهالت هذه التبرعات من كل حذب من العالم المثقف و عند إزاحة الستار عن تمثاله في عام 1882 ألقى أرنست رينان كلمة اختتمها بقوله: "ويل لمن يمر أمام هذا التمثال، يوجه إهانة أو لعنة لهذا السيد و الفيلسوف و المفكر لأنه سيعاقب بخسة كما تعاقب جميع النفوس الخسيسة العاجزة عن تصور الله"<sup>3</sup>، كثر المثقفين الذين درسوا فلسفة سبينوزا و كعربون شكر ساهم الجميع في وضع هذا التمثال الذي يخلد ذكرى و من الفلاسفة الذين كان لهم شرف الحضور هو أرنست رينان.

<sup>1</sup> - ويل ديورانت: قصة الفلسفة، ص 247.

<sup>2</sup> - فؤاد زكريا: اسبينوزا، ص 11.

<sup>3</sup> - ويل ديورانت: قصة الفلسفة، ص 247.

ولو ذهبنا إلى الجانب السياسي فهناك من بدأ العمل بأفكار "سبينوزا" تجد من الكتاب من يؤكد أن اسبينوزا يفيد أمريكا في محاربة الشيوعية، و أن تعاليمه يمكن أن تقتبس أثناء وضع الخطط اللازمة للدفاع ضد العدواناللسوفيتي في مجال الفكر"<sup>1</sup>.

باعتباره مناصر للديمقراطية في الدولة جعلت منه أمريكا مرجعا لها لمحاربة الشيوعية وبدأت بتطبيق مجمل الأفكار التي قال بها في السياسة و في الدولة و استعملها ضد السوفيتيين في المجال الفكري.

أيضا" قد كتب لوكاس مدافعا عن اسبينوزا بحماسة، و لكن روايته كان فيها الكثير من الخطأ"<sup>2</sup>، و في رد عن أرنست رينان في قوله في الافتتاحية عن سبينوزا،"و لكن هنري و دانالي توماس يصححان له قوله و يستبدلانه بقولهما "هنا في غالب الظن تجلى أصدق حب لبني الإنسانية"<sup>3</sup>،بمعنى أن فلسفته الإنسانية جمعاء، لأنها تدعو إلى المساواة و العدل بين جميع الأفراد و الدليل على ذلك أنه دافع عن الديمقراطية التي تتيح للأفراد حرية التفكير.

وليس هذا فحسب "وانتشر فكر جديد في فرنسا و خارج فرنسا، لاسيما فيما بين المبعدين و المهاجرين، و خضع الجيل الجديد لتأثير ديكارت واسبينوزا"<sup>4</sup>،لقد عرف فكر هذا الأخير انتشارا واسعا في مختلف الأماكن و كان لديه تأثير جد كبير على هؤلاء و استقوا من فكره و فرنسا أبرز مثال على ذلك،"وفي الوقت ذاته كان هناك تأثير موازي في المفكرين والأديان الذين مهدوا للثورة الفرنسية"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - فؤاد زكريا :اسبينوزا، ص 11.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه ، ص 20.

<sup>3</sup> - إبراهيم مصطفى إبراهيم : الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، ص 212.

<sup>4</sup> - جان توشار : تاريخ الفكر السياسي، ص 495.

<sup>5</sup> - فؤاد زكريا: إسبينوزا، ص 277.

وأيضاً "لقد كرس "بول فيرينيين" الذي نقله عنه في هذا النص كتاباً مرموقاً ليبين كتاب اسبينوزا، و حسب رأيه إن عقيدة التأليه التي انتشرت في فرنسا ليس مصدرها المدرسة الإنجليزية بل المذهب السبينوزي"<sup>1</sup>، إذا مذهب "سبينوزا" كان سبب انتشار هذه العقيدة لمدى قوة فكره و كان مبتعداً عن الذاتية بل كان موضوعياً هذا ما جعل هذه العقيدة تنتشر في أواسط فرنسا.

كان لفكره تأثير قوي إذ كان له أثر على الشعب الهولندي، "و من جهة أخرى ارتبط عمل سبينوزا ارتباطاً وثيقاً بانتهاضة البرجوازية الهولندية"<sup>2</sup>، وهذا يعني بأن فكر سبينوزا جد قوي وانتشر بشكل كبير عبر الدول وأبرز مثال على ذلك هولندا والتي يبدو أنها أخذت الكثير من أفكاره.

إن فكر سبينوزا السياسي و الديني كان له أشد التأثير في جميع مجالات السياسة و الاجتماعية و الدينية و الأخلاقية و الاقتصادية و التأثير كان إيجابياً و هذا ما قاله عنه الكتاب الفلاسفة و المفكرين كما ذكرنا من قبل، لقد صدق حين فصل الجانب الديني عن الجانب السياسي لأنه ظهر من يتخفى وراء الدين لكي يسيطر على الشعب .

ولو ذهبنا إلى الديمقراطية هو من أفضل الأنظمة لأنها تتيح للأفراد المشاركة في الحكم وذلك باختيار الحاكم الأمثل للدولة فإذا طغى يمكن عزله من الحكم وإعادة اختيار حاكم آخر عادل .

<sup>1</sup> -جان توشار : تاريخ الفكر السياسي، ص 491.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 491.

## المبحث الثاني: حدود أطروحة سبينوزا السياسية

لقد تلقى "سبينوزا" العديد من الهجمات القاسية والعنيفة من طرف العديد من الفلاسفة الذين عاصروه، أو من طرف الفلاسفة في العصر المعاصر فكما كان هنا من استحسن أفكاره و تم قبولها كما ذكرنا من قبل، فهناك من دحض هذه الأفكار و عارضها معارضة شديد.

ويذكر فؤاد زكريا أن "سبينوزا"، "إن كانت شخصية ثار حولها كثير من الجدل و جاءت حولها الشبهات، و عرف بآرائه المتطرفة و تحررها في الميدان الديني و السياسي"<sup>1</sup>، ونتيجة هذا التحرر جعل العديد من الفلاسفة يتهمونه بعدة اتهامات و اعتبروا بمثابة خطر و عدو و خاصة للدين.

إن هذه الآراء التي سلبت حق "سبينوزا"، "على الرغم من أن "اسبينوزا" جاءنا بفلسفة جديدة تدعم تاريخ الفكر الفلسفي السياسي في عصر النهضة خاصة والفلسفة الحديثة عامة، إلا أنه تلقى عدة اتهامات بالشك المقتع من قبل أكبر الفلاسفة في العصر الحديث غوتريد قبلهم "لايبنتز" "Leibnitiz" (1646-1716) الفيلسوف المثالي الموضوعي الألماني"<sup>2</sup>، لقد تلقى سبينوزا انتقادا من طرف لايبنتز الذي كان يتصل به وكان يخفي دينه عنه لكي يستفيد منه و لكنه كان أول من وجه له سهام الانتقاد، و نقض معظم أفكاره وحرص على نقده، ويعتبر من بين الذي كانوا قريبين منه.

"و بالإضافة إلى هذا كله، كان ليبنتس من أكثر الناس حرصا على الاتصال باسبينوزا و الإفادة من فكره"<sup>3</sup>، كان يريد الأخذ من أفكاره و دائما يحاول التقرب منه إلا أنه انتقده بشدة

<sup>1</sup> - فؤاد زكريا: اسبينوزا، ص 31.

<sup>2</sup> - عبد المجيد عمران : محاضرات في تاريخ الفكر الفلسفي السياسي، ص 96.

<sup>3</sup> - فؤاد زكريا: اسبينوزا، ص 30.

"لابينز الذي كتب كتاب الكافر المفحم أو مقالة ضد اسبينوزا، و فيه تقيد لأسس الإلحاد"<sup>1</sup>، خصص له كتاب يدعو فيه سبينوزا بالملحد فقد عارض بشدة فلسفته و رفضها، و هاجم كتاب "رسالة في اللاهوت و السياسة".

لقد صبت اللعنات عليه واتهم بالكفر والإلحاد حتى من أقرب أصدقائه بصورة مباشرة أو غير مباشرة، "فقد اعتبره البعض مثالا للملحدين لقوله بوحدة الوجود و إنكاره العناية الإلهية و العلل الغائبة"<sup>2</sup>، إذ يرى "سبينوزا" أن العالم واحد و أن المادة هي عنصر واحد فخالفه الكثير من الفلاسفة في هذا و من بينه "لايبنتز" الذي يرى بأن العالم يتكون من ذرات، و أيضا ناقضه في العديد من الأفكار.

وأيضا هناك نماذج عن الانتقادات التي عارضت تفكيره ووضعه في دائرة الإلحاد، و"أيضا مالمبرانش وجه له العديد من الانتقادات و(مالبيرانش)("Malebranch") (1639-1715) فيلسوف فرنسي و صاحب مذهب العرض، و الذي يقول بأن الله هو أساس جميع التغييرات و ليس هناك ما يسمى بالعلل الطبيعية"<sup>3</sup>، بمعنى الله هو الذي يحدث مجمل التغييرات التي تحدث على مستوى الطبيعة و يرفض أن كل ما يحدث في الطبيعة راجع للطبيعة.

ومن بينهم"جاكوب أسوتان (Jacob Osten) كتب رسالة يقصد بها اسبينوزا حيث يتهمه بالإلحاد"<sup>4</sup>، و أيضا هناك من الفرنسيين الذين لم يتقبلوا فلسفة "سبينوزا" الكاتب الفرنسي الذي أرخ حركة التنوير الفرنسية فرانسوى ماري فولتير (Voltaire) (1694-1694-

<sup>1</sup> - إميل بريه : تاريخ الفلسفة الحديثة، ص 331.

<sup>2</sup> - عبد المجيد عمران :محاضرات في تاريخ الفكر السياسي، ص 97.

<sup>3</sup> - مصطفى إبراهيم مصطفى : الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، ص 211.

<sup>4</sup> - بيار فرانسوا مورو :اسبينوزا و الاسبينوزية، ص 47.

1778) و لقد بنوا على أن اسبينوزا يهدم أسس الأخلاق و الدين<sup>1</sup>، فهو كغيره من الفلاسفة الذين يرون بأن فلسفة سبينوزا يشكل خطرا على الدين و الأخلاق لأنه أقر بالحرية الفكرية وحرية الدين والمعتقد .

وليس هذا فحسب"كذلك لا تأتي الانتقادات فقط من المعارضين غامضين، ففي جوتهم نجد الديكارتيين (مانسفلتMansvelt) و أنصار الفلسفة الجديدة (فالتهوزنولايبنتز) و حتى أنصار مدرسة (بيرد يورغBered HNBR)<sup>2</sup>.

لقد هطلت عليه الانتقادات من جميع الأطراف سواء كانوا ظاهرين أو غامضين كلهم رفضوا جل الأفكار التي نادى بها واعتبروها بمثابة خطر يهدد الفكر ويمس الجانب الديني والاجتماعي والأخلاقي.

أما المفكرين الذين ينتمون إلى مدارس مختلفة من أمثال،"والسكولائية و الديكارتيين، كما أن لنزعتهم الجمهورية مضامين أكثر راديكالية من نظرية العقد التقليدية التي تعبر إلى أساس العاطفي في السياسة"<sup>3</sup>، هناك من عاكس "سبينوزا" في قوله أن العقل أساس نشأة الدولة و استقرارها، و هم رأوا بأنها زاح الجانب العاطفي في السياسة ووجهوا له انتقادات لا ذعة في هذا الفكر .

"و النقد لم يكونوا خصومه و حدهم، بل نجد بينهم من عليه أن يتبرأ من شبهة التواطؤ معه"<sup>4</sup>، فهناك من يريد الابتعاد عنه حتى لو أنه ليس بخصمه و ذلك من أجل تقادي الشبهات التي تحوم حول سبينوزا عن الإلحاد لكي لا يقحم معه و من بينهم وابطس مثال على ذلك "لايبنتز" كما ذكرنا سابقا.

<sup>1</sup> - عبد المجيد عمران : محاضرات في تاريخ الفكر الفلسفي السياسي، ص 97.

<sup>2</sup> - بيار فرانسوا مورو : اسبينوزا والإسبينوزية، ص 49.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 49.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 48.

وهناك عدة انتقادات، "إن التنفيذات المزعومة أخرى لسبينوزا، و منها التنفيذ الجمعي يوحى بريد نبورغ لتهافت الرسالة اللاهوتية السياسية ... و تنفيذاتالكانت دي بولا نفيليه (تنفيذ بندكتاسبينوزا)"<sup>1</sup>، بمعنى هناك العديد من المفكرين الذين كتبوا كتب خصيصا لكي ينقدوا بها سبينوزا و لفلسفته و للسياسة و الدين خاصة.

نستطيع القول بأن فكره كان يشكل لهم هاجسا وكانوا يخافون منه لاعتقادهم يدمر المجتمع "فمن جهة يبدو أن تأثير اسبينوزا Spinoza (1632-1677) كان عميقا "لم ينعقد قط مثل الإجمال على كره مؤلف و مذهب... وأنه أثناء القرن الثامن عشر بكامله كان التقليد في الجامعات الألمانية أن يبدأ المرء حياته في الفلسفة أو اللاهوت ببحث ضد اسبينوزا"<sup>2</sup> و هذا ما يدل على كره الألمان له و يريدون خلق أعداء له من يريد الحصول على الفلسفة يجب أن يحضر نقدا لاسبينوزا، "في العهد النازي نجد من المفكرين الألمان من جعلوا منه عدوا خطيرا للأمة"<sup>3</sup>، بمعنى أن أفكاره أكثر قوة هذا ما خلق له أعداء يعارضونه و يعارضون فلسفته.

وأیضا "أما كوليروس فكان ينتقد اسبينوزا بشدة و كان أسلوبه أكثر واقعية"<sup>4</sup>، و هذا من بين المعارضين لاسبينوزا، فهناك من وضع ذرائع لكي ينقده حتى و إن كانت غير موجودة، و لكن هناك من كان قريبا من الواقع لكي يوجه له هذا الانتقاد.

وآخر هؤلاء "ومع أن بوسيه لن يأتي على ذكر اسبينوزا إلا مرة واحدة، فإنه ينظره الخصم الغير مسمى: و فيما يرى فيرنبيه أو بوسيه في كتابه "مقالة في التاريخ

<sup>1</sup> - إميل بريه : تاريخ الفلسفة القرن السابع عشر، ص 233.

<sup>2</sup> - جان توشار : تاريخ الأفكار السياسية من عصر النهضة إلى عصر الأنوار، ص 491.

<sup>3</sup> - فؤاد زكريا : اسبينوزا، ص 11.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 20.

العلمي" كما يسعى أن يدحض كتاب "دراسة لاهوتية سياسية" لاسبينوزا<sup>1</sup>، وهذا نقد آخر يمس كتب سبينوزا التي لم تلقى قبولا من هؤلاء المفكرين و الفلاسفة لأنهم يعتبرونها تشكل خطرا على السياسة و على الدين، عورض لامتلاكه فكر يحمل محتوى تدميري خطير يدمر بنية المجتمع في ذلك العصر، وهذا ما دفع باليهود إلى طرده ومقاطعته.

<sup>1</sup> - جان توشار : تاريخ الأفكار السياسية من عصر النهضة إلى عصر الأنوار II، ص 491.

نستنتج في الأخير و بعد تحليلنا لهذا الجزء لأن مصير الفكر السبينوزا بأنه لاقى استحسان من طرف العديد من الفلاسفة و قاموا بإحيائه من جديد و أقروا بفضله و خاصة في المجال السياسي، و اعتبر بأنه فكر قوي و اعتمدت عليه العديد من الدول في تسيير شؤونها، كما أنه هناك من رفضه و حاول وضع حد له و أقر بمدى خطورة هذا الفكر على الدين و السياسة و باعتبار أنه ينادي بالتحرر، و بإلغائه للدين، و رفضه التدخل في الحكم، و انتقدوا كتبه مثل كتابة "الرسالة السياسية" و كتابه "رسالة في اللاهوت و السياسة".



خاتمة

## خاتمة

من خلال ما سبق في تحليلنا للفصول الثلاثة المتعلقة بالسياسة عند سبينوزا نستنتج بأن فلسفته كانت نادرة إذ أتت بأفكار مغايرة تماما عن ما كان سائدا في عصره ، وخاصة فيما يخص السياسة والتي لم تلق قبولا من طرف الطائفة اليهودية لأنه كان يدعو إلى حرية الاعتقاد وعارض مجمل التعاليم التي جاءوا بها من بينها تفسير الكتاب المقدس وبقي محافظا على مجمل أفكاره حتى بعد انتقاله إلى الديانة المسيحية .

لقد شهد ظلم واضطهاد في تلك الفترة مما دفعه إلى المحاولة صنع محيط يمكن أن يعيش فيه الأفراد على اختلاف دياناتهم وأعراقهم متساوين فيه دون التفرقة بينهم.

وفي هذا المحيط يعم التسامح بين الأفراد ويوحدون ويوجهون تفكيرهم نحو الوطن الذي يعيشون فيه، ويوجهون قدراتهم الفكرية والجسدية للحفاظ عليه ، لأن أمنهم تعلق بسلامتهم وإذا كان العكس من ذلك تسقط الدولة ويغيب السلم الذي كانوا يبحثون عنه. إلا أن هذا كله حضي بإهمال من طرف الفلاسفة في ذلك العصر ومجمل أفكاره لم تجد الاهتمام الكافي من قبلهما إلا بعد وفاته من هنا شرعوا بإحياء هذه الفلسفة.

لقد توصلنا إلى فكرة مفادها أن سبينوزا أثناء الدراسة التي قام بها مر بتقسيم تاريخ البشرية إلى حالة طبيعية ومدنية ، والتي كان فيها تغيير جذري في طبيعة العيش بعدما سيطرت الانفعالات أصبح العقل في الصدارة إلى جانب القوانين التي تنظم المجتمع ، وفي المقابل هناك حقوقا التي من المفروض على الدولة تلبيتها.

كرس سبينوزا جهده في دراسة الدين والسياسة وتوصل إلى فكرة مفادها إلأن لكل منهما مجاله الخاص به فلا يمكن أن يتدخل الواحد منهما في الآخر، والعلاقة هي علاقة انفصال إذ هو لا ينفي وجود الدين كما ادعى أعداءه لكن هو ارتى بأنه يجب فصله عن الدولة

والاشتغال في الجانب الروحي فقط، ولا يمكن أن يكون لها علاقة بالحكم، ورأى أن هناك خلط بين ما هو سياسي وما هو ديني إذ أصبح الناس لا يفرقون بينهم، والاقتراح الذي قدمه هو الفصل بين هما.

وتوصلنا أيضا بأن سبينوزا جاء بالبديل الذي يعوض هذا الانتقال وهو مجمل دراسته تطرق إليها، ألا وهي الديمقراطية نظاما ودولة باعتبارها أنها الأفضل لأنها تتيح للإنسان الحرية، وعندما يقول الحرية ليست الحرية المطلقة لأنها تتيح للمواطن حرية التفكير وهو الذي يختار من يحكمه، وإذا كان الحاكم غير صالح يستطيعون إزالته من منصبه والبحث عن البديل إذ يعتبر هذا النظام هو يتناسب مع جميع الأجناس على اختلاف أعراقهم وتوجهاتهم ودياناتهم .

رغم النقاط الإيجابية التي كانت تحملها هذه النظرية السياسية والتي اعترف بها العديد من عظام الفلسفة، ومدى أهميتها في الفكر الفلسفي في العصر الحديث والمعاصر والدليل على ذلك أن العديد من الدول اتخذت أفكاره كمرجع لها واستند إليها العديد من الحكام وتعتبر فلسفته من أفضل الفلسفات إذ يمكننا القول بأن فلسفة سبينوزا حلت معظم المشاكل التي عانت منها البشرية وجاءت بالتغيير لأنها تحمل رسالة تسامح وسلام ومساواة، فهي تدعو جميع البشر للعيش تحت ظل مجتمع واحد بغض النظر عن توجههم .

سبينوزا عزز مفهوم المواطنة لأنه يدفع بالمواطن تفكير في شيء آخر بعدما كان همه البحث عن حاجياته الشخصية ويعتبر هذا بمثابة انجاز حققه على الساحة السياسية.

إلا أنها لا تخلو من الجوانب السلبية وهذا ما اقره خصومه، لأنهم رأوا أن فلسفته تحمل محتوى تدميري هائل للمجتمع والأخلاق وللدن وهذا ما أثار حفيظتهم ووجهوا له سهام النقد اللاذعة.

وماظهر لنا أن سبينوزا نقل لنا السياسة من جانبها النظري الذي كان سائد في العصر الكلاسيكي إلى الواقعي، لهذا كانت فلسفته مميزة عن غيره من فلسفات عصره والتي صب تركيزه على الدولة وضرورة الحفاظ عليها لأن كلاهم أمر جد مهم ويتم ذلك بالعقل، لأنه أساس استمرار الدولة وإن حادت عنه فمن المؤكد ستتفكك ويزول ذلك العقد الذي تم وضعه وتوصلنا إلى أن سبينوزا يشير بحرية الرأي والتفكير لا تشكل خطر على الدولة ولا على الدين هذا ما أقر به في كتابه رسالة في السياسة واللاهوت .

هو عبقرى زمانه حطم العديد من الموازين وأضاف في المقابل موازين أخرى، إنه عبارة عن عقل فلسفي جبار رفض مجدا زائلا ولكن فكره بقي مخلدا متداولاً بين المفكرين عبر الأزمنة إلى يومنا هذا .



قائمة المصادر

والمراجع

## قائمة المصادر والمراجع

### 1/ قائمة المصادر الخاصة بسبينوزا باروخ بينيديكتوس

- رسالة في إصلاح العقل، تر، جلال الدين سعيد، دار الجنوب للنشر، تونس، د.ط، د.ت.
- رسالة في اللاهوت والسياسية، تر، حسن حنفي، مراجعة فؤاد زكريا، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ، الطبعة الأولى، 2005.
- علم الأخلاق، تر، جلال الدين سعيد، دار الجنوبي للنشر والتوزيع، تونس، د:ط، د:ت.
- 4- هوبز توماس: الليفيان الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة، تر، ديان حرب، بشرى صعب، مراجعة رضوان السيد، هيئة أبو ضبي للثقافة والتراث دار الفرابي (الكلمة)، ط1، 2011.
- 5- Spinoza, traite théologico-politique, E Saisset, 1842.

## قائمة المراجع

- 1- إبراهيم مصطفى إبراهيم : الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، د.ط، د.ت.
- 2- إسماعيل زروخي: دراسات في الفلسفة السياسية، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2001.
- 3- الدراجي زروخي: المذهب الفلسفية الكبرى من سؤال المعرفة إلى سؤال القيم، دار صبحي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2015.
- 4- أميرة حلمي مطر: الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1995.
- 5- إميل برييه: تاريخ الفلسفة في القرن 17، الجزء الرابع، تر، جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1983.

- 6-بيار فرانسوا مور، اسبينوزاوالاسبنوزية،تر، جورج كتور،سلسلة نصوص، دار الكتاب الجديد المتحدة،،الطبعة الأولى،2006.
- 7-جان توشار: تاريخ الأفكار السياسية من اليونان إلى العصر الوسيط،تر، ناجي الدراوشة ، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق،ط2010،1.
- 8-جزيا رويس: روح الفلسفة، تر، أحمد الأنصاري، المجلس الأعلى للثقافة، العدد 467،ط1،2003.
- 9-راسل برتراند:تاريخ الفلسفة الغربية الكتاب الثالث الفلسفة الحديثة،تر، محمد فتحي الشنيطي، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر،د.ط،1977.
- 10-رسل برتراند: حكمة الغرب، سلسلة عالم المعرفة،ج2،تر، فؤاد زكريا، الكويت، 1983.
- 11-ريتشارد شاخت: رواد الفلسفة الحديثة تر، أحمد حمدي محمود،مهرجان القراءة للجميع،د.ط،د.ت.
- 12-زكي نجيب محمود:قصة الفلسفة الحديثة،السلسلة الفلسفية،لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة، د.ط،1936.
- 13-عبد الرحمن بدوي : فلسفة العصور الوسطى، وكالة المطبوعات الجامعية، الكويت، دار القلم، بيروت، لبنان، ط3 ، 1979.
- 14-عبد المجيد عمران: محاضرات في تاريخ الفكر السياسي، منشورات جامعة باتنة، د.ط، د.ت.
- 15-علي عيد المعطي: الفكر السياسي الغربي، نقلاً عن: فضل الله محمد إسماعيل، الأصول اليونانية للفكر الغربي الحديث.
- 16-علي فهمي خشيم: الفلسفة والسلطة ومقالات أخرى،دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1999.
- 17-فايزة أنور شكرى: القيم الأخلاقية، دار المعارف الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع،الإسكندرية،د.ط، 2007.
- 18-فضل الله محمد إسماعيل: الأصول اليونانية للفكر السياسي الغربي الحديث،بوستات المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1،2001.

- 19- فؤاد زكريا: أسبينوزا، دار الوفاء دنيا للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2008.
- 20- ليو شتراوس: جوزيف كروبسي: تاريخ الفلسفة السياسية من ثيوكديديس حتى أسبينوزا، الجزء الأول، تر، محمود السيد أحمد، مراجعة إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، العدد 809، 2005.
- 21- مختار عربي: الفلسفة السياسية من المفهوم الكلاسيكي إلى البيواتيقا، كنوز الحكمة للحكمة والنشر والتوزيع، د.ط، 2009.
- 22- منذر شباني: اسبينوزا واللاهوت، منشورات وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، د.ط، 2009.
- 23- ناصر عبد الله: دراسة في فلسفة الأخلاق والسياسة والقانون، دار الوفاء لدنيا للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 1999.
- 24- وليم كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، تر، محمود سيد أحمد، مراجعة إمام عبد الفتاح إمام، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2010.
- 25- ويل ديورانت: قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، حياة وأراء أعظم رجال الفلسفة في العالم، تر، فتح اله المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، ط6، 1988.
- 26- يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، مصر، ط5، 1890.
- 27- Philippe Borrell: Benoit Spinoza, Hoc Aemilio cHartier debetv opvscvlvm, texte numérisé par s.schoeggerte, Edition H Diaz, 1911.

## الموسوعات والمعاجم

- 1- لالاند أندريه ، موسوعة لالاند الفلسفية، تر، أحمد خليل أحمد، المجلد الأول، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ط 2، 2001 .
- 2- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1978 .
- 3- عبد الرحمن بدوي : الموسوعة الفلسفية، ج1، الموسوعة العربية للدراسة النشر، ط1، 1984 .

## قائمة المجلات

- 1- زكي نجيب محمود، فلسفة اسبينوزا، مجلة الرسالة، العدد 15، 15-08-1933، نقلًا عن 2017، file:///c:/users/maison xp/downloads/،
- 2- مصطفى عبد القادر، الديمقراطية عند سبينوزا، طبيعتها، نظامها ومشكلاتها. مجلة الحكمة للدراسة الفلسفية. العدد الثامن، 2006 .



# فہرس المحتویات

\* الفهرس \*

الصفحة	الموضوع
	الإهداء
	كلمة شكر وعران
أ	مقدمة
5	الفصل الأول : المرجعية الفكرية للفكر السياسي عند سبينوزا
7	المبحث الأول: السياسة عند اليونان
14	المبحث الثاني: السياسة في العصور الوسطى
27	المبحث الثالث: السياسة في العصر الحديث
35	الفصل الثاني :النظرية السياسية السبينوزية
37	المبحث الأول:الانتقال من الحالة الطبيعية إلى الدولة المدنية
51	المبحث الثاني :الدين والسياسة
59	المبحث الثالث : الدولة الديمقراطية
68	الفصل الثالث :دراسة تقييميه لأفكار سبينوزا السياسية
70	المبحث الأول :مكاسب أطروحة سبينوزا السياسي
74	المبحث الثاني : حدود أطروحة سبينوزا السياسية
80	خاتمة
84	قائمة المصادر والمراجع
89	فهرس الموضوعات